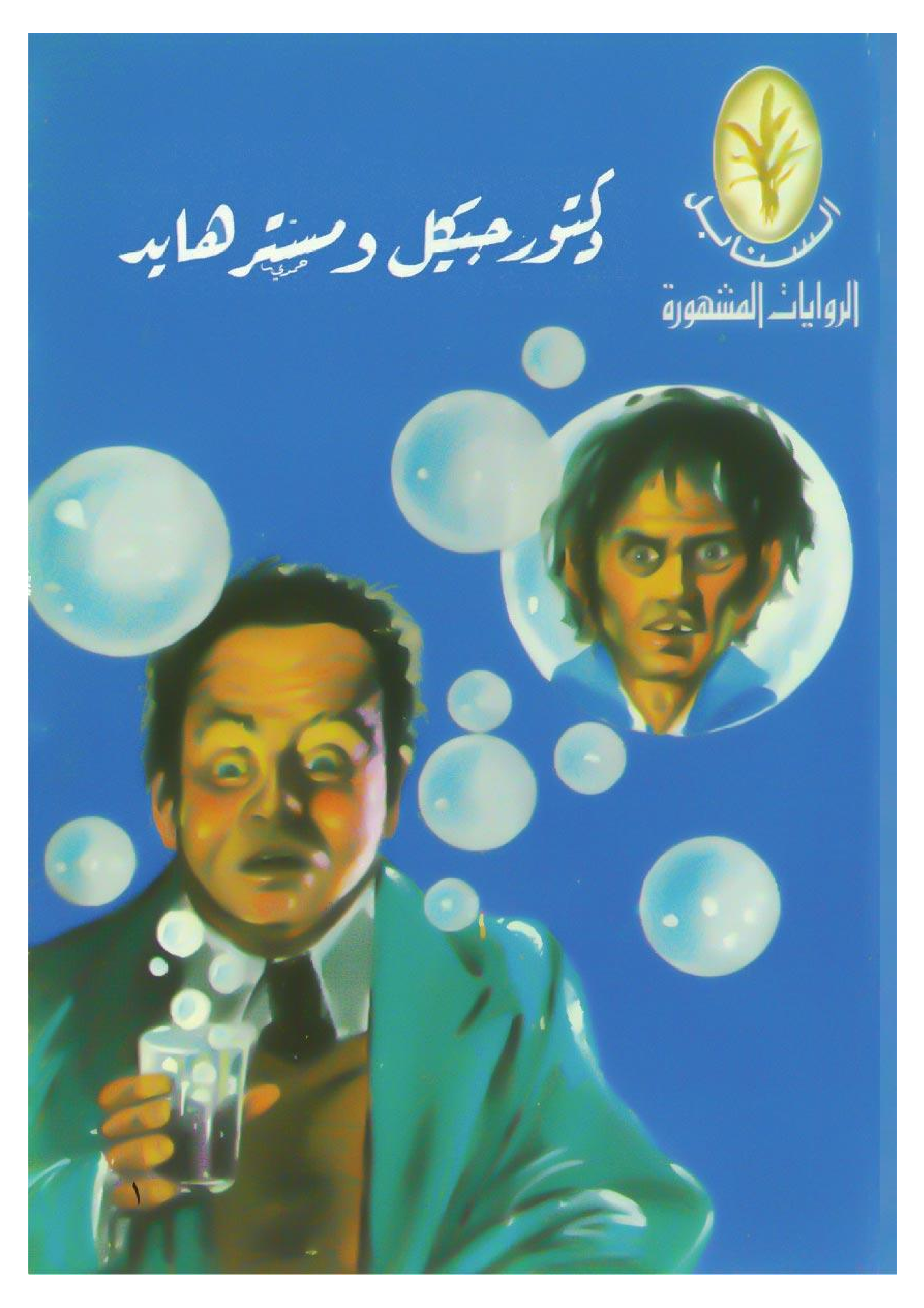
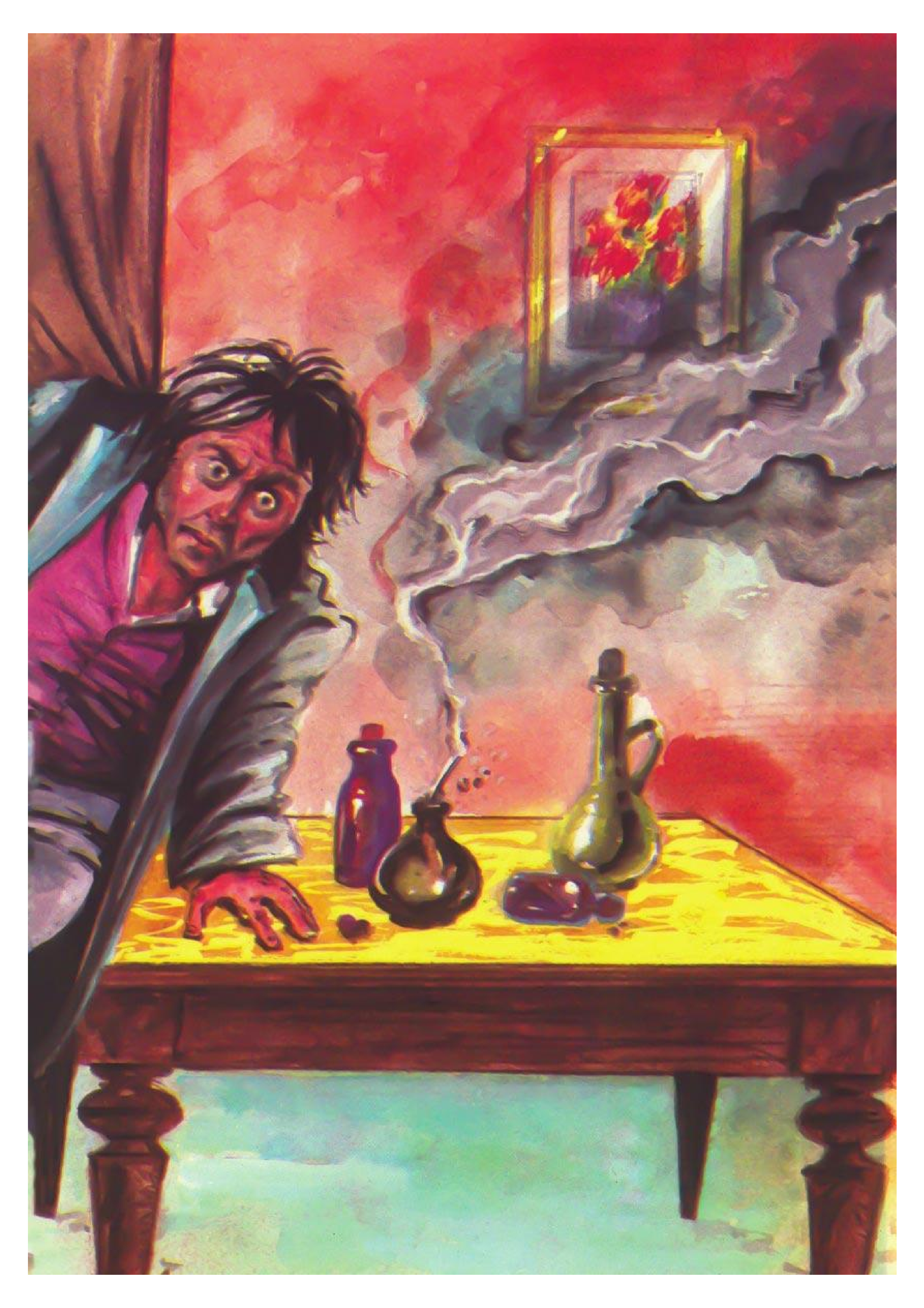
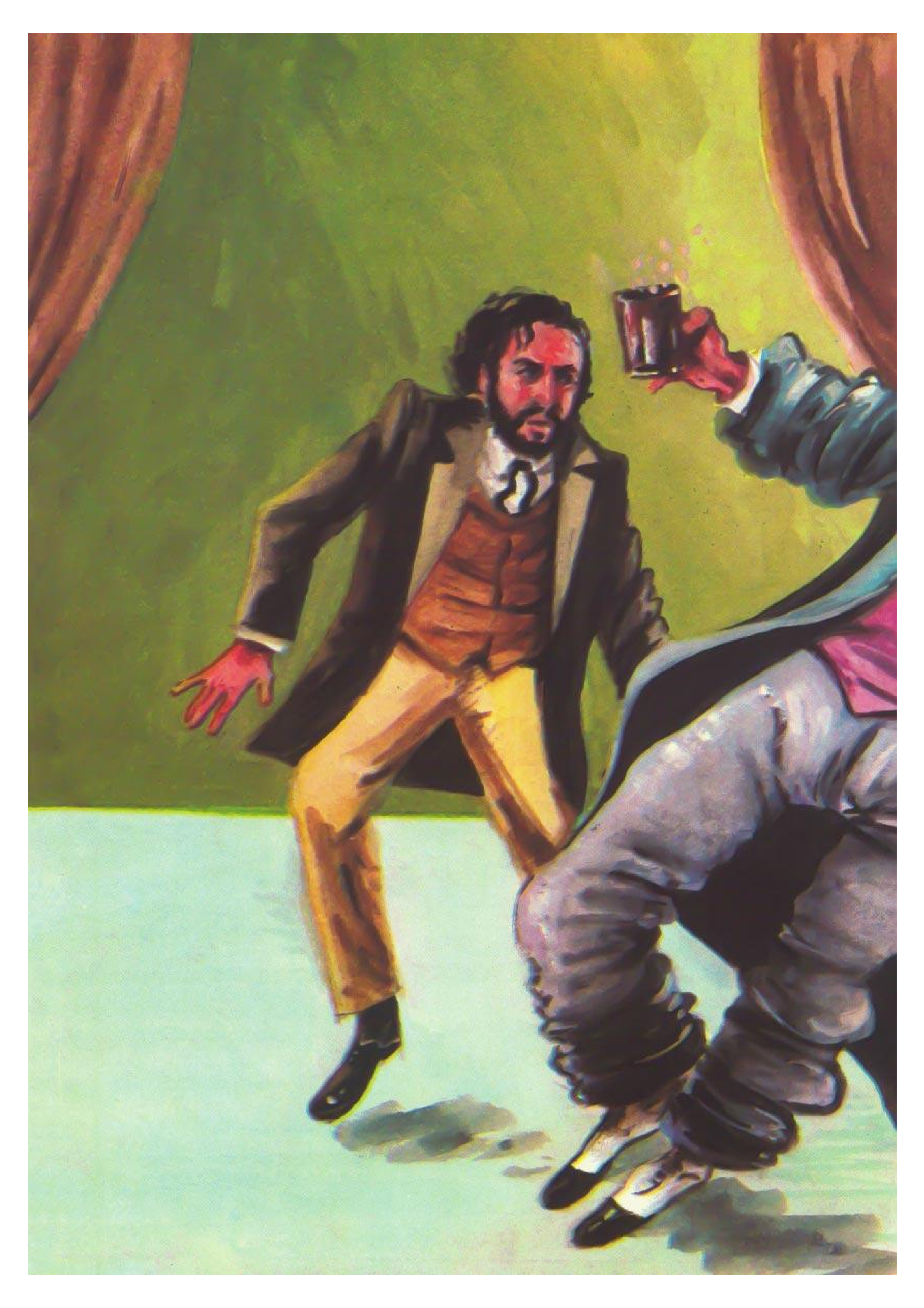


الروايات المشهورة
دكتور جيكل ومستر هايد
١

دكتور جيكل
وَمستر هايد





١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٠-٢

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



الروايات المشهورة

دكتور جيكل ومستر هايد



تأليف : روبَرت لويس ستيڤنسُن

إعدَاد : إسمَاعيل أبو العَزائم

رسُوم : نسيم ج. نصيف

مَكتبَة لبنَان

بَيروت

قِصَّةُ البابِ

كانَ السَّيِّدُ أَتِرْسُون المُحامي رَجُلًا صارِمَ المَلامِحِ، لا تَعْرِفُ الابتِسامةُ طَريقَها إلى وَجْهِهِ، صَموتًا، نادِرًا ما يَتَحَدَّثُ، وَلا يُظْهِرُ مَشاعِرَهُ إلّا في حالاتٍ قَليلةٍ. كانَ طَويلَ القامةِ نَحيلًا، يَميلُ إلى السُّمْرةِ، ذا حَرَكةٍ بَطيئةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُناكَ شَيْءٌ ما يَجْذِبُكَ إلَيْهِ وَخاصَّةً إذا كانَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، أَوْ كانَ بَيْنَ أَصْدِقائِهِ الأَقْرَبينَ. فَعِنْدَئِذٍ قَدْ تَلْمَحُ في عَيْنَيْهِ مَظاهِرَ الحُبِّ وَالعَطْفِ، وَلَمْ يَكُنْ يُعَبِّرُ عَنْ هَذِهِ المَظاهِرِ في حَديثِهِ قَطُّ بَلْ تَلْمَحُها في نَظَراتِهِ، وَتَراها في تَصَرُّفاتِهِ.

وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ قَسْوَتِهِ عَلى نَفْسِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْسو في حُكْمِهِ عَلى الآخَرينَ، بَلْ يَلْتَمِسُ لَهُمُ العُذْرَ. وَإذا انحَرَفَ أَحَدٌ عَنِ الطَّريقِ السَّوِيِّ، أَوْ وَضَعَ نَفْسَهُ في مَوْقِفٍ صَعْبٍ سارَعَ إلى مُساعَدَتِهِ لا تَأْنيبِه وَلَوْمِهِ. وَكَثيرًا ما كانَ يُرَدِّدُ عِبارةَ: «إنَّ ابنَ آدَمَ خَطّاءٌ بِطَبْعِهِ.» لِذا كانَ أَتِرْسُون يَبْذُلُ قُصارَى جَهْدِهِ كَيْ يَحولَ بَيْنَ مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَبَيْنَ وُقوعِهِمْ في الخَطَإِ.

كانَتْ عَلاقاتُهُ بِأَصْدِقائِهِ تَبْدو وَكَأَنَّها تَقومُ عَلى العَطْفِ أَكْثَرَ مِنْ قِيامِها عَلى المَحَبَّةِ. وَكانَ أَصْدِقاؤُهُ يَتَأَلَّفونَ إمّا مِنْ أَقارِبِهِ أَوْ مِنْ أَشْخاصٍ كانَ يَعْرِفُهُمْ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ.

وَهَذا هُوَ سِرُّ صَداقَتِهِ مَعَ السَّيِّدِ رِيتْشارْد إنْفيلْد مُصَمِّمِ الأَزْياءِ المَعْروفِ، والَّذي يَمُتُّ لَهُ بِصِلَةِ قَرابةٍ بَعيدةٍ. وَكانَ الكَثيرونَ يَتَساءَلُونَ في دَهْشةٍ عَنْ

تِلْكَ الصِّلةِ الَّتي تَرْبُطُ أَحَدَهُما بِالآخَرِ. فَقَدْ لاحَظَ كُلُّ مَنْ كانَ يُصادِفُهُما أَثْناءَ سَيْرِهِما في أَيّامِ الآحادِ أَنَّهُما لَمْ يَكونا يَتَحَدَّثانِ قَطُّ. وَكانَتْ تَبْدو عَلَيْهِما عَلاماتُ الفُتورِ حَتَّى إِنَّهُما كانا يُرَحِّبانِ بِشِدَّةٍ بِمَقْدَمِ صَديقٍ يُخْرِجُهُما مِمّا هُما فيهِ مِنْ صَمْتٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كانَ هَذان الصَّديقانِ يَحْرِصانِ كُلَّ الحِرْصِ عَلى أَنْ يَسْتَمْتِعا بِنُزْهَتِهِما الأُسْبوعِيَّةِ. وَكَثيرًا ما كانا يُفَضِّلانِها عَلى أَيَّةِ مُتْعةٍ أُخْرى، بَلْ يُؤَجِّلانِ أَداءَ أَيِّ عَمَلٍ قَدْ يَتعارَضُ وَقْتُهُ مَعَها.

حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ الآحادِ أَنِ اتَّجَها في سَيْرِهِما إِلى شارِعٍ جانِبِيٍّ مُتَفَرِّعٍ مِنْ أَحَدِ شَوارِعِ لَنْدَن المُزْدَحِمةِ. وَكانَ ذَلِكَ الشّارِعُ صَغيرًا هادِئًا، وَإِنْ كانَتْ حَرَكَةُ التَّعامُلِ فيهِ نَشيطةً في أَيّامِ الأُسْبوعِ الأُخْرى. وَبَدا أَنَّ أَصْحابَ المَتاجِرِ قَدْ لاقَوْا نَجاحًا وَازْدِهارًا، وَأَنَّهُمْ يَتَطَلَّعونَ إِلى مَزيدٍ مِنَ النَّجاحِ وَالازْدِهارِ. فَراحُوا يَبْذُلونَ شَيْئًا مِمّا يَكْسِبونَ في سَبيلِ إِظْهارِ مَتاجِرِهِمُ البَرّاقةِ الجَذّابةِ بِمَظْهَرٍ أَشَدَّ بَريقًا وَجاذِبيَّةً. وَانعَكَسَتْ جُهودُهُمْ تِلْكَ عَلى واجِهاتِ مَتاجِرِهِمْ فَبَدَتْ جَميلةً جَذّابةً وَكَأَنَّها مَجْموعةٌ مِنَ البائِعاتِ الباسِماتِ يُشَجِّعْنَ الزَّبائنَ كَيْ يُقْبِلوا عَلى الشِّراءِ. وَحَتَّى في أَيّامِ الآحادِ، حينَ تُغْلِقُ تِلْكَ المَتاجِرُ أَبْوابَها، وَتَخْلو مِنَ الزَّبائِنِ، يَظَلُّ ذَلِكَ الشّارِعُ مُحْتَفِظًا بِجَمالِهِ إِذا قُورِنَ بِالشَّوارِعِ الأُخْرى المُجاوِرةِ لَهُ. كانَتِ المَتاجِرُ ذاتَ نَوافِذَ نَظيفةٍ حَديثةِ الطِّلاءِ، وَأَجْزاءٍ نُحاسِيَّةٍ مَجْلُوَّةٍ لامِعةٍ. وَكانَتِ النَّظافةُ العامَّةُ واضِحةً بِصُورةٍ تَجْذِبُ المارّينَ وَتَبْعَثُ الارْتياحَ في نُفوسِهِمْ.

يَلْتَقي بِهذا الشّارِعِ الجَميلِ شارِعٌ آخَرُ أَقَلُّ اتِّساعًا. وَعِنْدَ مُلْتَقى الشّارِعَيْنِ يَبْرُزُ مَبْنًى قَبيحُ المَنْظَرِ مُكَوَّنٌ مِنْ طابَقَيْنِ وَيَخْلو تَمامًا مِنَ النَّوافِذِ، وَبِهِ بابٌ واحِدٌ فَقَطْ في الطّابَقِ الأَرْضيِّ يَعْلُوهُ حائِطٌ مُتَّسِخٌ يَمْتَدُّ حَتّى سَطْحِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ. وَتَبْدو عَلى المَنْزِلِ كُلِّهِ مَظاهِرُ الإِهْمالِ الطَّويلِ، فَالبابُ مُشَقَّقٌ مُتَّسِخٌ لَيْسَ بِهِ جَرَسٌ أَوْ سَقّاطَةٌ (قُفْلٌ)، وَيَأْوي إِلَيْهِ المُتَسَوِّلونَ، وَيَلْعَبُ الأَطْفالُ عَلى سُلَّمِهِ وَيَحْفِرونَ بِمُداهُمْ (بِسَكاكينِهِم) في حائِطِهِ دونَ أَنْ يَرْدَعَهُمْ رادِعٌ. وَظَلَّ الأَمْرُ كَذَلِكَ طَوالَ عِشْرينَ سَنَةً دُونَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يَنْهَرُهُمْ أَوْ يُصْلِحُ ما أَتْلَفُوهُ.

كانَ السَّيِّدُ إِنْفيلْد يَسيرُ مَعَ صَديقِهِ المُحامي بِالجانِبِ الآخَرِ مِنْ هَذا الشّارِعِ الفَرْعيِّ. وَعِنْدَما أَصْبَحا في مُواجَهةِ البَيْتِ رَفَعَ السَّيِّدُ إِنْفيلْد عَصاهُ وَأَشارَ إِلَيْهِ قائِلًا: «أَتَرى هَذا البابَ؟»

أَجابَ المُحامي: «نَعَمْ.»

قالَ السَّيِّدُ إِنْفيلْد: «إِنَّهُ مُرْتَبِطٌ في ذِهْني بِقِصَّةٍ في غايةِ الغَرابةِ.»

سَأَلَهُ السَّيِّدُ أَتِرْسُون: «ما هَذِهِ القِصَّةُ؟»

أَجابَ السَّيِّدُ إِنْفيلْد: «كُنْتُ ذاتَ يَوْمٍ راجِعًا إِلى بَيْتي مِنْ رِحْلةٍ إِلى بَلَدٍ بَعيدٍ، وَكانَ ذَلِكَ في السّاعةِ الثّالِثةِ مِنْ صَباحِ يَوْمٍ بارِدٍ مِنْ أَيّامِ الشِّتاءِ. وَلَمْ يَكُنْ بِالشَّوارِعِ أَحَدٌ. كانَتْ خاليةً تَمامًا، لَيْسَ بِها إِلّا صُفوفٌ مِنَ المَصابيحِ وَراءَ صُفوفٍ. وَفَجْأَةً رَأَيْتُ شَخْصَيْنِ: كانَ أَحَدُهُما صَغيرَ الجِسْمِ يَتَّجِهُ

مُسْرِعًا نَحْوَ الشَّرْقِ، أَمّا الآخَرُ فكانَ فَتاةً صَغيرةً في حَوالَي الثّامِنةِ مِنَ العُمْرِ تَجْري بِأَقْصى سُرْعةٍ عِنْدَ ناصِيةِ الطَّريقِ. وَسَرْعانَ ما اصطَدَمَتْ بِالرَّجُلِ هُنا عِنْدَ مُلْتَقى الشّارِعَيْنِ. رُبَّما كانَ اصطِدامُ الفَتاةِ المُسْرِعةِ بِالرَّجُلِ أَمْرًا لا غَرابةَ فيهِ، أَمّا الفَظيعُ في الأَمْرِ فَهُوَ ما حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ: لَقَدْ داسَ الرَّجُلُ بِهُدوءٍ غَريبٍ عَلى جِسْمِ الفَتاةِ المُلْقاةِ عَلى الأَرْضِ، ثُمَّ تَرَكَها تَصْرُخُ وَسارَ في طَريقِهِ كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ. إنَّ مُجَرَّدَ رُؤْيَتِكَ لِهَذا المَنْظَرِ تَجْعَلُكَ تَقْشَعِرُّ مِنْ هَوْلِهِ. إنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا، بَلْ كانَ أَشْبَهَ بِوَحْشٍ لا يَعْرِفُ الرَّحْمةَ. لَقَدْ فَزِعْتُ لِما رَأَيتُ وَصِحْتُ، وَأَسْرَعْتُ وَراءَ الرَّجُلِ حَتَّى لَحِقْتُ بِهِ وَأَمْسَكْتُهُ، ثُمَّ عُدْتُ بِهِ إلى حَيْثُ كانَتِ الفَتاةُ مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ وَقَدْ تَجَمَّعَ حَوْلَها عَدَدٌ مِمَّنْ سَمِعوا صُراخَها. أَمّا الرَّجُلُ فكانَ في غايةِ الهُدوءِ، وَلَمْ يَقُمْ بِأَيَّةِ مُقاوَمةٍ، وَلَكِنَّهُ سَدَّدَ إلَيَّ نَظْرةً غاضِبةً اقشَعَرَّ لَها بَدَني. وَكانَ المُحيطونَ بِالفَتاةِ هُمْ أَفرادَ عائِلَتِها، وسارَعوا بِطَلَبِ الطَّبيبِ الَّذي جاءَ بَعْدَ فَتْرةٍ قَصيرةٍ.

«لَمْ تَكُنْ حالةُ الفَتاةِ سَيِّئةً، بَلْ كانَتْ تُعاني مِنَ الفَزَعِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ – كَما قالَ الطَّبيبُ – وَكانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَنْتَهِيَ الأَمْرُ عِنْدَ هَذا الحَدِّ. وَلَكِنْ ما حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ كانَ غَريبًا أَيْضًا. لَقَدْ تَمَلَّكَني شُعورٌ بِالخَوْفِ وَالكَراهيةِ لِذَلِكَ الرَّجُلِ مُنْذُ البِدايةِ، وَكانَ ذَلِكَ هُوَ شُعورَ أَفْرادِ عائِلةِ الفَتاةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالأَمْرِ المُسْتَغْرَبِ.

«أَمّا مَوقِفُ الطَّبيبِ فَقَدْ كانَ مُثيرًا لِلدَّهْشةِ. كانَ ذَلِكَ الطَّبيبُ رَجُلًا عادِيًّا يَتَحَدَّثُ الإنْجليزيَّةَ بِلَهْجةٍ إسْكُتْلَنْديَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَقْديرُ عُمْرِهِ.



كانَ كُلَّما نَظَرَ إلى الرَّجُلِ الَّذي أُمْسِكَ بِهِ ازدادَ غَضَبُهُ عَلَيْهِ، وَبَدا كَأَنَّما يُريدُ أَنْ يَقْتُلَهُ. وَأَدْرَكْتُ ما يَدورُ في ذِهْنِ الطَّبيبِ، كَما أَدْرَكَ هُوَ ما يَدورُ بِذِهْني، وَبما أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في وُسْعِنا أَنْ نَقْتُلَهُ فَقَدْ هَدَّدْناهُ بِأَنْ نُشَهِّرَ بِهِ، وَنَفْضَحَهُ، وَنُلَطِّخَ سُمْعَتَهُ في كافَّةِ أَنْحاءِ لَنْدَن، مِنْ أَقْصاها إلى أَقْصاها. وقُلْنا لَهُ إنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يُفْقِدُهُ أَصْدِقاءَهُ وَيَشينُهُ بَيْنَ النّاسِ. وَكُنّا أَثْناءَ تَهْديدِنا لَهُ نَحولُ بَيْنَ النِّساءِ وَبَيْنَهُ، فَقَدْ كُنَّ غاضِباتٍ صاخِباتٍ يُرِدْنَ لَوْ يَفْتَرِسْنَهُ.

«لَمْ أَرَ طَوالَ حَياتي مِثْلَ تِلْكَ الوُجوهِ الغاضِبةِ تُحيطُ بِالرَّجُلِ الَّذي كانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ دُونَ اكتِراثٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بِالخَوْفِ أَيْضًا، رَغْمَ أَنَّهُ كانَ واقِفًا يَتَحَدّانا كَما لَوْ كانَ شَيْطانًا مارِدًا. وَأَخيرًا قالَ: «إذا كُنْتُمْ تُريدونَ استِغْلالَ هَذِهِ الحادِثةِ فَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَمْنَعَكُمْ. إنَّ الإِنْسانَ يُحاوِلُ دائِمًا تَجَنُّبَ الفَضيحةِ – فَما المَبْلَغُ الَّذي تَطْلُبونَهُ مُقابِلَ ذَلِكَ؟» فَأَخَذْنا نُساوِمُهُ حَتّى اتَّفَقْنا مَعَهُ أَنْ يَدْفَعَ مِائةَ جُنَيْهٍ تَعْويضًا لِما حَدَثَ. وَكانَ يَوَدُّ أَنْ يَرْفُضَ، وَلَكِنَّهُ رَأى الشَّرَّ في عُيونِنا فَقَبِلَ.

«كانَتِ الخُطْوةُ التّاليةُ هِيَ أَنْ نَحْصُلَ مِنْهُ عَلى المَبْلَغِ الَّذي اتَّفَقْنا عَلَيْهِ، فَإلى أَيِّ مَكانٍ تُراهُ قَدْ أَخَذَنا؟ لَقَدْ جاءَ بِنا إلى هَذا البَيْتِ ذي البابِ القَديمِ المُشَقَّقِ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِفْتاحَهُ وَفَتَحَهُ. وَدَخَلَ البَيْتَ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جاءَ بِعَشَرةِ جُنَيْهاتٍ مِنَ الذَّهَبِ وَبِشيكٍ بِالمَبْلَغِ الباقي يُصْرَفُ لِأَمرِ حامِلِهِ. أَمّا التَّوْقيعُ فَكانَ بِاسمِ شَخْصٍ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ رَغْمَ أَنَّهُ اسمُ شَخْصٍ مَشْهورٍ وَكَثيرًا ما يَرِدُ ذِكْرُهُ في الصُّحُفِ.

«لَقَدْ كانَ المَبْلَغُ الَّذي اتَّفَقْنا عَلَيْهِ كَبيرًا، وَلَكِنْ إذا كانَ التَّوْقيعُ الَّذي عَلى الشّيكِ صَحيحًا فَإِنَّ صاحِبَهُ قادِرٌ عَلى أَنْ يَدْفَعَ مَبْلَغًا أَكْبَرَ بِكَثيرٍ. لِهَذا قُلْتُ لِلرَّجُلِ إنَّ المَوْضوعَ مُحاطٌ بِالرّيبَةِ والشَّكِّ، إذْ لَيْسَ مِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ يَقومَ شَخْصٌ ما بِفَتْحِ بابِ بَيْتٍ في السّاعَةِ الرّابِعَةِ صَباحًا ثُمَّ يَخْرُجَ بَعْدَ بُرْهَةٍ وَمَعَهُ شيكٌ بِتَوْقيعِ شَخْصٍ آخَرَ وَبِمَبْلَغٍ يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ جُنَيْهٍ.

«اِستَمَعَ الرَّجُلُ إلى قَوْلي بِهُدوءٍ شَديدٍ ثُمَّ قالَ: (لا تَقْلَقْ. سَوْفَ أَبْقى مَعَكَ حَتَّى يَفْتَحَ البَنْكُ أَبْوابَهُ، ثُمَّ أَصْرِفَ لَكَ الشّيكَ بِنَفْسي.) وَهَكَذا ذَهَبْنا جَميعًا إلى شَقَّتي – الطَّبيبُ وَأَبو الفَتاةِ وَالرَّجُلُ وَأَنا – وَقَضَيْنا باقيَ اللَّيْلِ بِها. وَفي الصَّباحِ ذَهَبْنا مَعًا بَعْدَ الإِفْطارِ إلى البَنْكِ، وَقُمْتُ أَنا بِتَقْديمِ الشّيكِ بِنَفْسي لِلصَّرّافِ وَقُلْتُ لَهُ إنَّ أَسْبابًا كَثيرةً تَجْعَلُني أَشُكُّ في صِحَّةِ التَّوْقيعِ. وَلَكِنَّ شَكّي كانَ بِلا أَساسٍ فَقَدْ قالَ الصَّرّافُ إنَّ التَّوْقيعَ صَحيحٌ.»

قالَ أَتِرْسُون: «يا لَلْعَجَبِ!»

قالَ إِنْفيلْد: «أَراكَ تَشْعُرُ بِنَفْسِ شُعوري. لا بُدَّ أَنَّ في الأَمْرِ شَيْئًا مُريبًا؛ إذْ إنَّ الرَّجُلَ كانَ مِمَّنْ لا يَليقُ بِالشُّرَفاءِ أَنْ يَتَعامَلوا مَعَهُ؛ كانَ شِرِّيرًا بِكُلِّ ما في الكَلِمةِ مِنْ مَعْنًى. أَمّا صاحِبُ الشّيكِ فَقَدْ كانَ رَجُلًا في غايةِ الاحتِرامِ، وَكانَ مَشْهورًا أَيْضًا. وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كانَ مِمَّنْ يُمْكِنُ تَلْقيبُهُمْ بالخَيِّرينَ الطَّيِّبينَ. لا بُدَّ أَنَّهُ شَخْصٌ شَريفٌ يَبْتَزُّهُ رَجُلٌ شِرِّيرٌ مُهَدِّدًا إيّاهُ بِأَنْ يَكْشِفَ حَماقاتِهِ الَّتي ارتَكَبَها في شَبابِهِ. وَحَتَّى هَذِهِ الشُّبْهَةُ لا تَكْفي لِشَرْحِ المَوْقِفِ

مِنْ كافَّةِ جَوانِبِهِ.» قالَ ذَلِكَ ثُمَّ صَمَتَ مُفَكِّرًا فيما حَدَثَ.

فَجْأَةً سَأَلَهُ أَتِرْسُون: «هَلْ يَعيشُ صاحِبُ الشّيكِ هُنا؟»

أَجابَ إِنْفيلْد: «هَذا أَمْرٌ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ، فَقَدْ لاحَظْتُ عُنْوانَهُ. إِنَّهُ يَعيشُ في أَحَدِ الأَحْياءِ الرّاقيةِ، وَلَكِنّي لا أَتَذَكَّرُهُ.»

قالَ أَتِرْسُون: «هَلْ سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ المَنْزِلِ ذي البابِ؟»

أجابَ إِنْفيلْد: «لا يا سَيِّدي، لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ. إِنّي لا أُحِبُّ أَنْ أُكْثِرَ مِنْ تَوْجيهِ الأَسْئلةِ، فَذَلِكَ أَشْبَهُ بِيَوْمِ الحِسابِ. أَو أَشْبَهُ بِمَنْ يُلْقي بِحَجَرٍ مِنْ تَلٍّ مُرْتَفِعٍ، فَيهوي الحَجَرُ إلى أَسْفَلِ التَّلِّ وَيَجُرُّ مَعَهُ أَحْجارًا أُخْرى. وَفي نِهايةِ المَطافِ قَدْ تَجِدُ أَنَّ أَحَدَ هَذِهِ الأَحْجارِ أَصابَ رَأْسَ رَجُلٍ بَريءٍ يَجْلِسُ هادِئًا في حَديقَتِهِ. إِنَّ المَبْدَأَ الَّذي أُومِنُ بِهِ أَنَّهُ كُلَّما ازدادَتْ غَرابةُ المَوْضوعِ قَلَّتْ أَسْئلَتي عَنْهُ.»

قالَ المُحامي: «إِنَّهُ مَبدأٌ جَيِّدٌ لِلْغاية.»

أَضافَ إِنْفيلْد قائِلًا: «وَلَكِنّي قُمْتُ بِنَفْسي بِدِراسةِ المَكانِ. إِنَّهُ مِنَ المُبالَغةِ أَنْ تَصِفَهُ بِأَنَّهُ بَيْتٌ، فَلَيْسَ فيهِ بابٌ غَيْرُ هَذا البابِ، وَلا يَدْخُلُ مِنْ هَذا البابِ أَوْ يَخْرُجُ مِنْهُ أَحَدٌ بِاستِثْناءِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذي رَأَيْتُهُ تِلْكَ اللَّيْلة، فَهُوَ يَأْتي إِلى البَيْتِ عَلى فَتَراتٍ مُتَباعِدةٍ. وَبِالبَيْتِ مِدْخَنةٌ يَنْبَعِثُ مِنْها الدُّخانُ في كَثيرٍ مِنَ الأَحْيانِ، مِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما يَعيشُ بِالبَيْتِ؛ وَمَعَ هَذا فَلَسْتُ مُتأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ، إِذْ إِنَّ المَبانيَ في هَذا المَكانِ مُتَقارِبةٌ مُتَزاحِمةٌ وَمِنَ

الصَّعْبِ أَنْ تَعْرِفَ الحَدَّ الفاصِلَ بَيْنَ بَيْتٍ وَآخَرَ.»

مَضى الصَّديقانِ في طَريقِهِما صامِتَيْنِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قالَ السَّيِّدُ أَتِرْسُون: «إِنَّ مَبْدَأَكَ مَبْدَأٌ سَديدٌ يا إِنْفِيلْد.»

أَجابَهُ صَديقُهُ: «نَعَمْ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ.»

«وَلَكِنْ مَعَ هَذا هُناكَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ أُريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْها: ما اسْمُ الرَّجُلِ الَّذي داسَ الفَتاةَ وَسارَ فَوْقَ جَسَدِها؟»

أَجابَ إِنْفِيلْد: «حَسَنًا، لا أَرى ما يَمْنَعُني مِنْ أَنْ أُخْبِرَكَ بِاسْمِهِ. إِنَّهُ رَجُلٌ يُدْعى هايد.»

«صِفْهُ لي مِنْ فَضْلِكَ.»

«لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أَصِفَهُ لَكَ. إِنَّ شَيْئًا ما يَشوبُ مَظْهَرَهُ العامَّ. شَيْءٌ غَيْرُ سارٍّ! شَيْءٌ فَظيعٌ! إِنَّني لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلُ شَخْصًا كَرِهْتُهُ كَما كَرِهْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَلا أَدْري سَبَبًا لِكُرْهي لَهُ. لا بُدَّ أَنَّ بِهِ عاهَةً ما. فَهُوَ يَجْعَلُكَ تَشْعُرُ بِأَنَّهُ يُعاني مِنْ عاهَةٍ مُعَيَّنَةٍ – وَلَكِنْ في أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جِسْمِهِ؟ لا أَدْري بِالتَّحْديدِ. إِنَّهُ شَخْصٌ غَريبُ المَظْهَرِ، وَمَعَ غَرابَةِ مَظْهَرِهِ لَيْسَ في وُسْعِكَ أَنْ تُحَدِّدَ الشَّيْءَ الغَريبَ فيهِ. لا يا سَيِّدي، لَيْسَ في إِمْكاني أَنْ أَصِفَهُ لَكَ. ولا يَرْجِعُ عَجْزي هَذا إِلى أَنّي نَسيتُ شَكْلَهُ، فَصورَتُهُ أَمامَ عَيْنَيَّ الآنَ بِكُلِّ وُضوحٍ.»

اِستَغْرَقا في صَمتٍ لِفَتْرةٍ أُخْرى، وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّ أَتِرْسون يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ. وَأَخيرًا قالَ: «هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ استَخْدَمَ مِفْتاحًا؟» وَعِنْدَما هَمَّ صَديقُهُ بِالإِجابَةِ بادَرَهُ قائِلًا: «أَعْرِفُ أَنَّ الأَمْرَ غَريبٌ. إِنّي لَمْ أَسأَلْكَ عَن اسمِ الرَّجُلِ الَّذي حَرَّرَ الشّيكَ لِأَنّي أَعْرِفُ اسمَهُ. أَرَأَيْتَ يا رِيتْشارْد؟ إِنَّ قِصَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ عَلى مَسامِعِ شَخْصٍ لَهُ صِلةٌ بِالمَوْضوعِ. فَإِذا كُنْتَ غَيْرَ دَقيقٍ في أَيِّ جانِبٍ مِنَ الجَوانِبِ أَرْجو أَنْ تُصَحِّحَهُ الآنَ.»

رَدَّ صَديقُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الغَضَبِ: «كُنْتُ أُفَضِّلُ لَوْ نَبَّهْتَني إِلى ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ. وَلَكِنّي كُنْتُ دَقيقًا كُلَّ الدِّقَّةِ في وَصْفي لِما حَدَثَ. لَقَدْ كانَ مَعَ الرَّجُلِ مِفْتاحٌ لِلْبابِ. بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ يَحْتَفِظُ بِالمِفْتاحِ حَتّى الآنَ. فَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسْتَخْدِمُهُ مُنْذُ أَقَلَّ مِنْ أُسْبوعٍ.»

تَنَهَّدَ أَتِرْسُون بِعُمْقٍ دُونَ أَنْ يَقولَ شَيْئًا فَقالَ إِنْفِيلْد: «وَهَذا دَرْسٌ آخَرُ يُعَلِّمُني أَنْ أَلْتَزِمَ دائِمًا بِالصَّمْتِ. إِنّي لَأَخْجَلُ مِنْ طُولِ لِساني. فَلْنَتَّفِقْ مَعًا عَلى أَلّا نُثيرَ هَذا المَوْضوعَ مَرَّةً أُخْرى.»

«بِكُلِّ سُرورٍ يا رِيتْشارْد! لِنَتَعاهَدْ عَلى ذَلِكَ وَهَذِهِ يَدي.» ثُمَّ تَصافَحا.

البَحْثُ عَنْ مِسْتَر هايِد

عادَ أَتِرْسُون إلى بَيْتِهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُكْتَئِبًا، وَتَناوَلَ عشاءَهُ دون شَهِيَّةٍ. وكانَتْ عادَتُهُ بَعْدَ أَنْ يَتَناوَلَ عَشاءَهُ في أَيّامِ الآحادِ أَنْ يَجْلِسَ بِجوارِ المِدْفأَةِ لِيَقْرَأَ أَحَدَ الكُتُبِ الدّينيَّةِ حَتّى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَأْوي بَعْدَ ذَلِكَ إلى فِراشِهِ. أَمّا في تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَما إِنِ انْتَهى مِنْ عَشائِهِ حَتَّى أَخَذَ شَمْعةً وَذَهَبَ إلى حُجْرَةِ المَكْتَبِ، ثُمَّ فَتَحَ الخَزينةَ وَأَخْرَجَ مِنْها ظَرْفًا مَكْتوبٌ عَلَيْهِ «وَصِيَّةُ دُكْتور جيكِل» وَجَلَسَ مُقَطِّبَ الجَبينِ يُمْعِنُ في قِراءَتِها. كانَتِ الوَصِيَّةُ مَكْتوبةً بِخَطِّ صاحِبِها، وَقَدْ رَفَضَ أَتِرْسُون أَنْ يُساعِدَ في كِتابَتِها رَغْمَ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ الآنَ بِتَنْفيذِ بُنودِها.

جاءَ في الوَصِيَّةِ أَنَّهُ في حالةِ وَفاةِ دُكْتُور جيكِل تَنْتَقِلُ جَميعُ مُمْتَلَكاتِهِ إلى صَديقِهِ إِدْوارْد هايِد. وَلَمْ يَقْتَصِرِ الأَمْرُ عَلى ذَلِكَ، بَلْ هُناكَ بَنْدٌ آخَرُ يَقولُ إِنَّهُ في حالةِ اختِفاءِ دُكْتُور جيكِل، أَوْ غِيابِهِ لِفَتْرةٍ تَزيدُ عَلى ثَلاثةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّ المَدْعو إِدْوارْد هايِد يَحِلُّ مَحَلَّ دُكْتور جيكِل دُونَ أَيِّ إِبْطاءٍ وَدُونَ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَيَّ اِلتِزامٍ، أَوْ يَقومَ بِأَيِّ واجِبٍ آخَرَ غَيْرِ دَفْعِ مَبالِغَ ضَئيلةٍ لِلْقائِمينَ بِالخِدْمةِ في بَيْتِ الطَّبيبِ.

أَزْعَجَتْ هَذِهِ الوَثيقةُ أَتِرْسُون، أَضِفْ إلى ذَلِكَ أَنَّهُ كانَ غاضِبًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مِسْتَر هايِد هَذا. أَمّا الآنَ فَقَدْ تَغَيَّرَ الوَضْعُ وَأَصْبَحَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمِسْتَر هايِد هي الَّتي تُثيرُ غَضَبَهُ. لَقَدْ كانَ الأَمْرُ سَيِّئًا عِنْدَما كانَ اسمُ

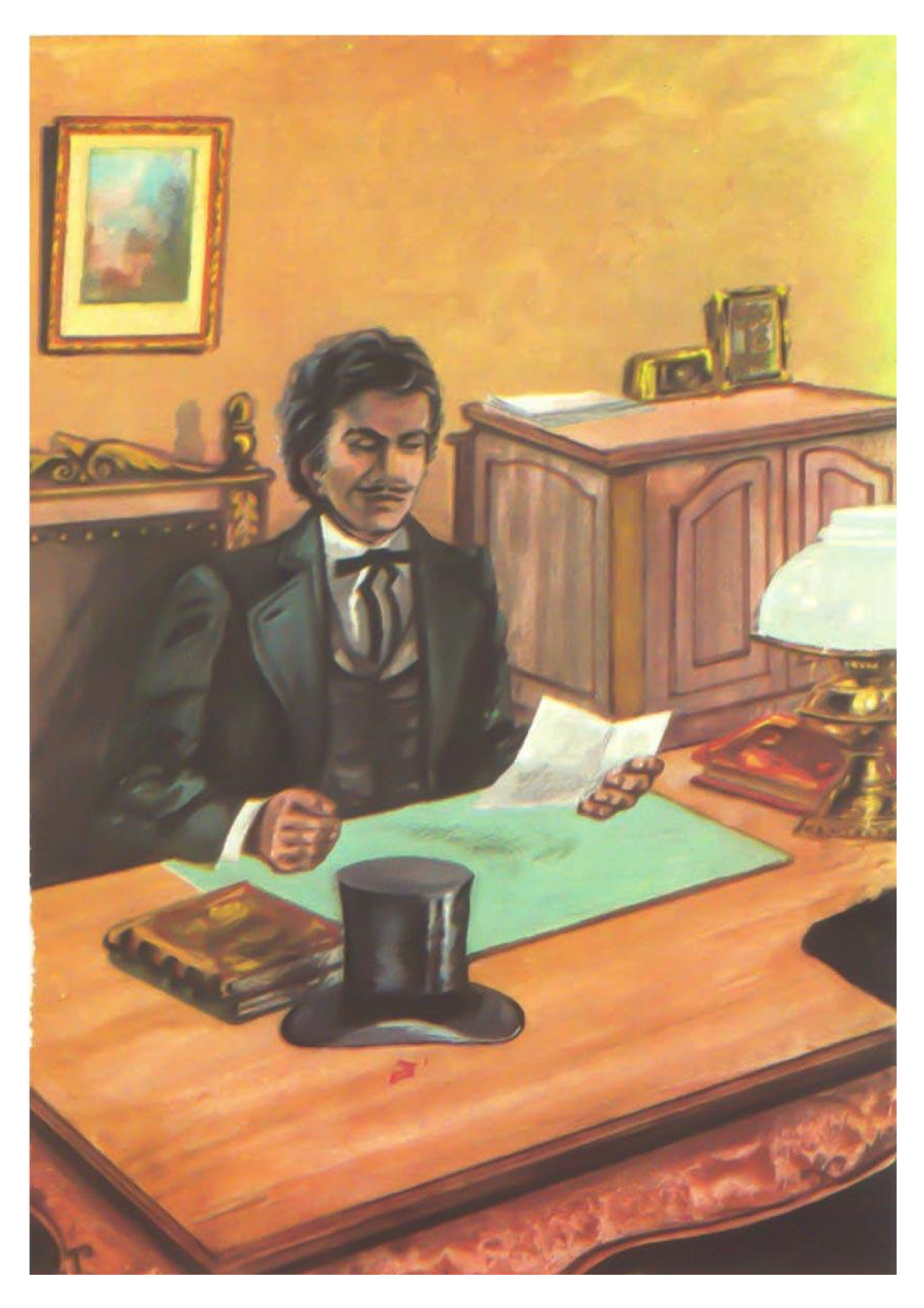
مِسْتَر هايد مُجَرَّدَ اسم لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ صاحِبِهِ، أَمّا الآنَ فَقَدِ ازدادَ الأَمْرُ سُوءًا بَعْدَ أَنْ عَرَفَ أَتِرْسُون أَنَّ هَذا الرَّجُلَ كَريهُ الصِّفاتِ. إنَّ الغُموضَ الَّذي كانَ يُحيطُ بِذَلِكَ الاسْمِ قَدْ بَدَأَ يَنْقَشِعُ الآنَ وَبَرَزَتْ فَجْأَةً صورةُ شَيْطانٍ مارِدٍ.

قالَ أَتِرْسُون لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُعيدُ الوَصِيَّةَ إلى مَكانِها في الخَزينَةِ: «كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الوَصِيَّةَ عَمَلٌ جُنونيٌّ – وَقَدْ بَدَأْتُ الآنَ أَخْشى أن يَكونَ في الأَمْرِ فَضيحةٌ.» ثُمَّ ارتَدى مِعْطَفَهُ وَأَطْفَأَ الشَّمْعةَ وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَّجِهًا نَحْو مَيْدان كاڤِنْديش، حَيْثُ مَنْزِلُ صَديقِهِ الكَبيرِ الدُّكْتور لانْيُون وَعِيادَتُهُ. وَكانَ يَقولُ في نَفْسِهِ: «إذا كانَ هُناكَ مَنْ يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ هَذا المَوْضوعِ فَهُوَ الدُّكْتُور لانْيُون.»

عِنْدَ وُصولِهِ إلى هُناكَ رَحَّبَ بِهِ الخادِمُ، وَقادَهُ إلى غُرْفَةِ الطَّعامِ حَيْثُ كانَ الدُّكْتور لانْيُون جالِسًا وَحْدَهُ يَشْرَبُ القَهْوَةَ. وَما إنْ رَأَى أَتِرْسُون حَتَّى هَبَّ واقِفًا وَرَحَّبَ بِهِ مادًّا لَهُ يَدَيْهِ؛ فَقَدْ كانا صَديقَيْنِ قَديمَيْنِ مُنْذُ أَيّامِ الدِّراسةِ بِالمَدْرَسةِ وَالجامِعةِ. وَكانَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ ويَحْتَرِمُ صَديقَهُ، وَيَجِدُ المُتْعةَ في صُحْبَتِهِ.

بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثا لِفَتْرةٍ قَصيرةٍ في مَواضيعَ مَتَنَوِّعةٍ وَجَّهَ المُحامي دَفَّةَ الحَديثِ نَحْوَ المَوْضوعِ الَّذي كانَ يُقْلِقُ خاطِرَهُ.

قالَ: «أَعْتَقِدُ يا لانْيُون أَنَّنا – أَنْتَ وَأَنا – أَكْبَرُ صَديقَيْنِ سِنًّا لِدُكْتُور جيكِل.» فَرَدَّ عَلَيْهِ دُكْتُور لانْيُون قائِلًا: «كَمْ أَتَمَنَّى لَوْ كُنّا أَصْغَرَ أَصْدِقائِهِ. لِماذا تَسْأَلُني هَذا السُّؤالَ؟ إنّي لا أَراهُ كَثيرًا هَذِهِ الأَيّامَ.»



قالَ أَتِرْسُون: «أَحَقًّا هَذا؟ إنّي كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيْكُما اهتِماماتٍ مُشْتَرَكَةً.»

فَأَجابَهُ دُكْتُور لانْيُون: «لَقَدْ كانَ ذَلِكَ فيما مَضى. لَقَدْ أَصْبَحَ هِنْري جِيكِل خَياليًّا لِلْغايةِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَواتٍ مَضَتْ. وَقَدْ بَدَأَ عَقْلُهُ يَخْتَلُّ. عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنّي ما زِلْتُ مُهْتَمًّا بِأَمْرِهِ مِنْ أَجْلِ العِشْرةِ القَديمةِ فَإنّي لا أَراهُ إلّا في القَليلِ النّادِرِ.» ثُمَّ أَضافَ قائِلًا وَقَدِ احمَرَّ وَجْهُهُ مِنَ الغَضَبِ: «إنَّ ذَلِكَ الهُراءَ العِلْميَّ الَّذي يَهْذي بِهِ جَديرٌ بِأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَقْرَبِ أَصْدِقائِهِ.»

شَعَرَ أَتِرْسُون بِشَيْءٍ مِنَ الرّاحةِ لَدى سَماعِهِ هَذِهِ الكَلِماتِ الغاضِبةَ، وَقالَ في نَفْسِهِ: «إنَّهُما لَمْ يَخْتَلِفا إلّا حَوْلَ بَعْضِ المَسائِلِ العِلْميَّةِ، لا أَكْثَرَ.» وَبَعْدَ أَنْ صَمَتَ بُرْهةً قَصيرةً سَأَلَ: «هَلْ قابَلْتَ صَديقًا لَهُ يُسَمّى هايِد؟»

قالَ لانْيُون: «هايِد؟ لا، لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَطُّ.»

هَذِهِ هِيَ المَعْلُوماتُ الَّتي عادَ بِها المُحامي. وَقَدْ أَقْلَقَتْ مَضْجَعَهُ فَجَعَلَتْهُ يَتَقَلَّبُ في فِراشِهِ، وَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ في تِلْكَ اللَّيْلةِ حَتَّى ساعاتِ الصَّباحِ الأُولى. لَقَدْ كانَتْ لَيْلةً لَيْلاءَ (طَويلَةً شَديدَةَ السَّوادِ)، أَنْهَكَ فيها عَقْلَهُ مُفَكِّرًا في تِلْكَ الأَسْئِلةِ الكَثيرةِ الَّتي لا يَجِدُ لَها جَوابًا.

مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ بَدَأَ أَتِرْسُون يُراقِبُ ذَلِكَ البابَ الكائِنَ بِالشّارِعِ الفَرْعيِّ مُراقَبَةً دائِمةً؛ يُراقِبُهُ كُلَّ صَباحٍ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ إلى أَعْمالِهِمْ، وَفي

الظَّهيرةِ أَثْناءَ زِحامِ العَمَلِ، وَفي المَساءِ في ضَوْءِ القَمَرِ الباهِتِ خِلالَ ضَبابِ لَنْدَن الكَثيفِ.

أَخيرًا أَثْمَرَ صَبْرُهُ، فَفي لَيْلةٍ جَوُّها صافٍ كانَ أَتِرْسُون في مَوْقِعِ مُراقَبَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَتِ المَتاجِرُ أَبْوابَها، وَخَيَّمَ السُّكونُ عَلى السّكانِ. وَفي هَدْأَةِ اللَّيْلِ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامٍ خَفيفةٍ تَأْتي مِنْ بَعيدٍ. وَأَخَذَ الصَّوْتُ يَقْتَرِبُ وَيَعْلو، فَاشْرَأَبَّ أَتِرْسُون بِعُنُقِهِ (رَفَعَهُ لِيَنْظُرَ) إلى مَدْخَلِ الشّارِعِ الجانِبِيِّ وَظَلَّ يَرْقُبُ ما يَحْدُثُ.

بَعْدَ فَتْرةٍ وَجيزةٍ كانَ في وُسْعِ أَتِرْسُون أَنْ يَرى الرَّجُلَ الَّذي سَوْفَ يَتَعامَلُ مَعَهُ. لَقَدْ كانَ رَجُلًا صَغيرَ الجِسْمِ يَرْتَدي مَلابِسَ بَسيطةً. وَرَغْمَ أَنَّهُ كانَ بَعيدًا عَنْهُ، إلّا أَنَّ شَكْلَهُ أَثارَ في أَتِرْسُون شُعورًا قَوِيًّا بِالكَراهيةِ وَالبُغْضِ. وَسَرْعانَ ما اتَّجَهَ الرَّجُلُ نَحْوَ بابِ البَيْتِ وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مِفْتاحًا لِيَفْتَحَ بِهِ البابَ، كَما يَفْعَلُ أَيُّ رَجُلٍ عادِيٍّ عِنْدَما يَدْنو مِنْ بَيْتِهِ الَّذي يَعيشُ فيهِ.

خَرَجَ أَتِرْسُون مِنْ مَكْمَنِهِ وَرَبَّتَ عَلى كَتِفِ الرَّجُلِ قائِلًا: «مِسْتَر هايِد، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

تَراجَعَ مِسْتَر هايِد في دَهْشةٍ وَشَهِقَ مَأْخوذًا مِنَ المُفاجَأَةِ. وَلَكِنَّ خَوْفَهُ ما لَبِثَ أَنْ زالَ، وأَجابَ بِهُدُوءٍ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَجْهِ مُحَدِّثِهِ: «نَعَمْ هَذا هُوَ اسْمي. ماذا تُريدُ؟»

قالَ المُحامي: «أَرى أَنَّكَ تُوشِكُ عَلى الدُّخولِ. أَنا صَديقٌ قَديمٌ لِدُكْتُور جيكِل. اسْمي أَتِرْسُون، وَأَعيشُ في شارِعِ جُونْت. لا بُدَّ أَنَّكَ قَدْ

سَمِعْتَ عَنّي. وَبِما أَنّي قابَلْتُكَ في هَذِهِ المُصادَفَةِ الطَّيِّبَةِ، فَإِنّي آمُلُ أَنْ تَدْعُوَني لِلدُّخولِ.»

أَجابَهُ مِسْتَر هايِد: «إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ دُكْتُور جيكِل، فَقَدْ خَرَجَ.» ثُمَّ قالَ فَجْأَةً دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى وَجْه أَتِرْسُون: «كَيْفَ عَرَفْتَني؟»

لَمْ يُجِبْهُ أَتِرْسُون، وَإِنَّما سَأَلَهُ: «هل في وُسْعِكَ أَنْ تُقَدِّمَ لي خِدْمةً؟»

أَجابَ الرَّجُلُ: «بِكُلِّ سُرورٍ. ما هِيَ؟»

فَقالَ المُحامي: «اسْمَحْ لي أَنْ أَرى وَجْهَكَ.»

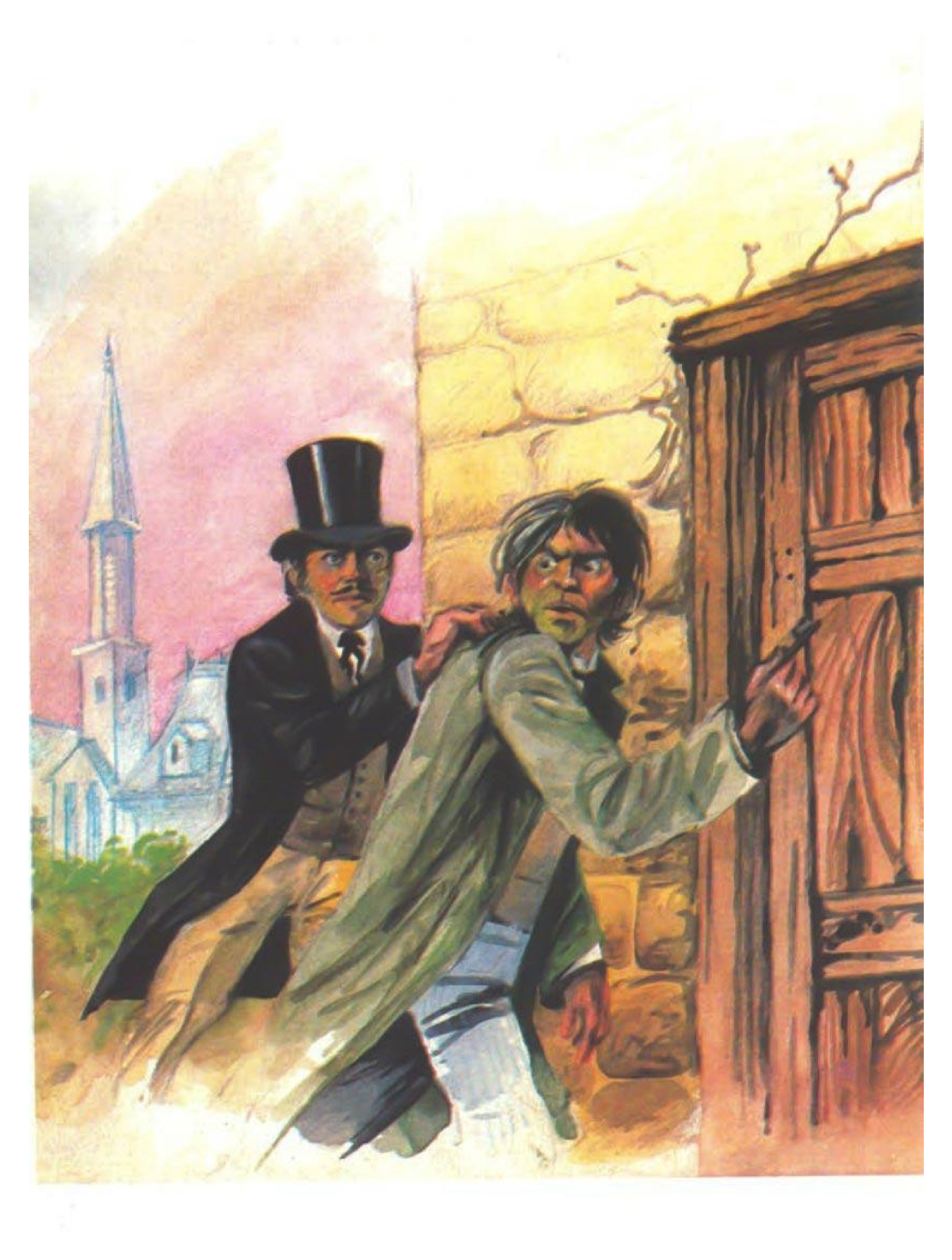
فَتَرَدَّدَ مِسْتَر هايِد لِفَتْرةٍ وَجيزةٍ، ثُمَّ بَدا وَكَأَنَّما قَدْ راوَدَتْهُ فِكْرةٌ مُفاجِئةٌ فَاستَدارَ في جُرْأَةٍ. وَنَظَرَ الرَّجُلانِ كُلٌّ مِنْهُما في وَجْهِ الآخَرِ عَنْ قُرْبٍ لِعِدَّةِ ثَوانٍ، وَأَخيرًا قالَ أَتِرْسُون: «الآنَ سَوْفَ أَعْرِفُكَ إِذا التَقَيْنا ثانيةً – فَقَدْ يَكونُ ذَلِكَ مُفيدًا.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ مِسْتَر هايِد قائِلًا: «نَعَمْ – مِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّنا التَقَيْنا – وَهَذا هُوَ عُنْواني.» وَذَكَرَ لَهُ رَقْمَ مَنْزِلٍ في حَيِّ سُوهُو.

دَهِشَ أَتِرْسُون لِذَلِكَ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ قائِلًا في نَفْسِهِ: «يا إِلهي! هَلْ يُفَكِّرُ هُوَ أَيْضًا في الوَصِيَّةِ؟» وَلَكِنَّهُ أَخْفى مَشاعِرَهُ هَذِهِ واحتَفَظَ بِها في دَخيلةِ نَفْسِهِ.

عِنْدَئِذٍ قالَ مِسْتَر هايِد: «وَالآنَ، قُلْ لي، كَيْفَ عَرَفْتَني؟»

أَجابَهُ: «بِالوَصْفِ.»



«مَنِ الَّذي وَصَفَني لَكَ؟»

«إِنَّ لَنا أَصْدِقاءَ مُشْتَرَكينَ.»

«أَصْدِقاءَ مُشْتَرَكينَ؟ مَنْ هُمْ؟»

أَجابَهُ المُحامي: «جيكِل مَثَلًا.»

فصاح هايِد غاضِبًا: «إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَكَ ذَلِكَ أَبَدًا. لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ في وُسْعِكَ أَنْ تَكْذِبَ.»

قال أَتِرْسُون: «مَهْلًا، لَيْسَتْ هَذِهِ لُغَةَ الحَديثِ المُناسِبةَ.»

اِنْفَجَرَ هايِد في ضَحِكٍ هِسْتيريٍّ، ثُمَّ فَتَحَ الباب بِسُرْعةٍ غَريبةٍ. وَما هِيَ إِلّا لَحْظةٌ حَتَّى كانَ قَدِ اختَفى داخِلَ البَيْتِ.

وَقَفَ المُحامي قَليلًا أَمامَ البابِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ مِسْتَر هايِد، وَكانَ في غايةِ الضِّيقِ، ثُمَّ عادَ أَدْراجَهُ بِبُطْءٍ. وَكانَ كُلَّما مَشى خُطْوَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا تَوَقَّفَ مُفَكِّرًا فيما حَدَث.

قال في نَفْسِهِ: «لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ شَيْئًا آخَرَ لا أَعْرِفُهُ فَلْيُسامِحْني اللهُ، إِنْ كُنْتُ ظالِمًا لِلرَّجُلِ. إِنَّهُ غَيْرُ آدَميٍّ! إِنَّ بِهِ شَيْئًا غَيْرَ طَبيعيٍّ! أَمْ تُراهُ لَيْسَ إِلّا مُجَرَّدَ شَخْصٍ تَقَمَّصَتْهُ رُوحٌ شِرِّيرةٌ فانعَكَسَ ذَلِكَ عَلى مَلامِحِهِ؟ إِنَّهُ الاحتِمالُ الأَخيرُ فيما أَظُنُّ، أَيُّها الصَّديقُ جيكِل، إِنَّني لَمْ أَرَ آثارَ الشَّيْطانِ مَكْتوبةً عَلى وَجْهِ إِنْسانٍ كَما رَأَيْتُها عَلى وَجْهِ صَديقِكَ الجَديدِ.»

عَلى ناصِيةِ الشّارِعِ الجانِبيِّ تَجِدُ مَجْموعةً مِنَ المَنازِلِ العَريقةِ الأَنيقةِ،

وَإِنْ كانَتْ يَدُ الزَّمَنِ قَدْ أَثَّرتْ عَلَيْها. وَتَجِدُ مَنازِلَ أُخرى وَمَكاتِبَ يَسْتَأْجِرُها أُناسٌ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَنْواعِ وَالأَشْكالِ. وَكانَ البَيْتُ الثّاني بَعْدَ التَّقاطُعِ مُسْتَأْجَرًا بِأَكْمَلِهِ، وَتَبْدو عَلَيْهِ سِماتُ الثَّراءِ وَالرَّفاهيةِ، وَإِنْ كانَ البَيْتُ مُظْلِمًا تَمامًا بِاسْتِثْناءِ مِصْباحٍ يُنيرُ بابَ المَدْخَلِ. وَعِنْدَ هَذا البَيْتِ تَوَقَّفَ أَتِرْسُون وَدَقَّ البابَ، فَفَتَحَهُ خادِمٌ كَبيرُ السِّنِّ ذُو مَلابِسَ أَنيقةٍ. سَأَلَهُ أَتِرْسُون: «هَلْ دُكْتُور جيكِل بِالبَيْتِ يا بُوول؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِ بُوول قائِلًا: «سَوْفَ أَرى يا سَيِّدُ أَتِرْسُون.»

ثُمَّ أَدْخَلَهُ الصّالةَ الواسِعةَ ذاتَ الأَثاثِ الوَثيرِ وَالمِدْفأَةِ المُشْتَعِلةِ، وَسَأَلَهُ قائِلًا: «هَلْ تُفَضِّلُ أَنْ تَنْتَظِرَ هُنا بِجِوارِ المِدْفأَةِ يا سَيِّدي، أَمْ تُفَضِّلُ الانتِظارَ في غُرْفةِ الطَّعامِ؟»

قالَ المُحامي: «أُفَضِّلُ الانتِظارَ هُنا. شُكْرًا.» ثُمَّ اتَّجَهَ نَحْوَ المِدْفأَةِ لِيُدَفِّئَ أَطْرافَهُ. وَكانَتْ هَذِهِ الصّالةُ المكانَ المُفَضَّلَ عِنْدَ دُكْتُور جيكِل، بَلْ إِنَّ أَتِرْسُون نَفْسَهُ كانَ يَعْتَبِرُها أَجْمَلَ صالةٍ في لَنْدَن كُلِّها. وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالسَّعادةِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، إِذْ إِنَّ صُورةَ وَجْهِ مِسْتَر هايد كانَتْ شُغْلَهُ الشّاغِلَ، وَكانَتْ تَمْلأُ عَلَيْهِ مُخَيِّلَتَهُ مِمّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالسَّأَمِ وَالضِّيقِ مِنَ الحَياةِ – وَهُوَ الشَّخْصُ الَّذي نادِرًا ما كانَ يَنْتابُهُ مِثْلُ هَذا الشُّعورِ. وَفي حالَتِهِ النَّفْسيَّةِ تِلْكَ كانَ يَشْعُرُ بِالتَّشاؤُمِ وَسُوءِ الطّالِعِ، وَهُوَ يَرى أَلْسِنةَ اللَّهَبِ تَتَراقَصُ في المِدْفأَةِ عاكِسةً أَضْواءَها عَلى الأَثاثِ اللّامِعِ، وَيَشْهَدُ الظِّلالَ وَهِيَ تَقْفِزُ هُنا وَهُناكَ عَلى سَقْفِ الغُرْفَةِ. وَأَخيرًا جاء بُوول وَأَخْبَرَهُ أَنَّ دُكْتُور

جيكِل قَدْ خَرَجَ، فَشَعَر أَترْسُون بِشَيْءٍ مِنَ الارْتياحِ، وَلكِنَّهُ خَجِلَ مِنْ شُعورِهِ هَذا الَّذي ساوَرَهُ.

قال لِبُول: «لَقَدْ رَأَيْتُ مِسْتَر هايِد يَدْخُلُ مِنْ بابِ المَعْمَلِ، فَهَلْ هَذا أَمْرٌ مَسْموحٌ بِهِ في غَيْبَةِ دُكْتُور جيكِل؟»

«نَعَمْ يا سَيِّدُ أَترْسُون، فَهُناكَ مِفْتاحٌ مَعَ مِسْتَر هايِد.»

قالَ أَترْسُون وَهُوَ مُمْعِنٌ في تَفْكيرِهِ: «يَبْدُو أَنَّ سَيِّدَكَ يَثِقُ في ذَلِكَ الشّابِّ ثِقَةً كَبيرةً يا بُوول.»

فَقالَ بُوول: «نَعَمْ يا سَيِّدي، إِنَّهُ يَثِقُ فيهِ بِدُونِ شَكٍّ. لَقَدْ صَدَرَتْ لنا الأَوامِرُ أَنْ نَكونَ مُطيعينَ لَهُ.»

فَسَأَلَهُ أَترْسُون: «يَبْدُو أَنَّني لَمْ أُقابِلْ مِسْتَر هايِد مِنْ قَبْلُ؟»

فَقالَ بُوول: «لا يا سَيِّدي! فَهُوَ لا يَتَناوَلُ طَعامًا هُنا أَبَدًا. وَالحَقيقةُ أَنَّنا نادِرًا ما نَراه في هَذا الجانِبِ مِنَ البَيْتِ. فَهُوَ غالِبًا ما يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ مِنْ بابِ المَعْمَل.»

«حَسَنًا، تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ يا بُوول.»

«تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ يا سَيِّدي.»

قَفَلَ (عادَ) المُحامي راجِعًا وَالحُزْنُ يَمْلأُ قَلْبَهُ، وَكانَ يَقولُ لِنَفْسِهِ: «مِسْكينٌ أَنْتَ يا جيكِل. كَمْ أَخْشى أَنْ تَكونَ في مَأْزِقٍ كَبيرٍ.» وَذَهَبَتْ بِهِ أَفْكارُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَاستَبَدَّتْ بِهِ الظُّنونُ. وَكانَ مِنْ بَيْنِ أَفْكارِهِ تِلْكَ أَنَّ هِنْري

جيكِل الَّذي كانَ مُنْدَفِعًا أَثْناءَ شَبابِه، لا بُدَّ أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَفَ خَطيئةً ما وَحاوَلَ إِخْفاءَها. وَلَكِنَّهُ عِقابُ الله لا بُدَّ أَنْ يَجيءَ، فَاللهُ يُمْهِلُ وَلا يُهْمِلُ. وَأَثارَتْ هَذِهِ الفِكْرةُ مَخاوِفَ أَتِرْسُون نَفْسِهِ وَبَدَأَ يَسْتَعْرِضُ تاريخَ حَياتِهِ خَشْيةَ أَنْ يَكونَ قَدِ اقْتَرَفَ إِثْمًا ما وَنَسِيَهُ بِمُرورِ الزَّمَنِ. لَقَدْ كانَتْ حَياتُهُ دُونَ خَطيئةٍ، وَالقَليلونَ هُمُ الَّذينَ في وُسْعِهِمْ أَنْ يَسْتَعْرِضوا تاريخَ حَياتِهِمْ فَيَجدوهُ نَقيًّا كَتاريخِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ شَعَرَ أَتِرْسُون بِالخَجَلِ الشَّديدِ مِمّا ارتَكَبَ مِنْ أَخْطاءٍ كَما شَكَرَ اللهَ كَثيرًا عَلى تَوْفيقِهِ لَهُ بِأَنِ امتَنَعَ عَنِ ارتِكابِ أَخْطاءٍ كَثيرةٍ هَمَّ بِارتِكابِها لَكِنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ في اللَّحْظةِ الأَخيرةِ.

وَعِنْدَما رَجَعَ بِتَفْكيرِهِ إلى المَوْضوعِ الأَصْليِّ شَعَرَ بِبَصيصٍ مِنَ الأَمَلِ لِمُساعَدةِ صَديقِهِ جيكِل في مِحْنَتِه. قالَ لِنَفْسِهِ: «لَوِ استَقْصَيْنا حَياةَ مِسْتَر هايد هَذا لَوَجَدْنا فيها أَسْرارًا يُخْفيها عَنِ النّاسِ، وَلا بُدَّ أَنَّها أَسْرارٌ خَطيرةٌ مُخْجِلةٌ. فَمُجَرَّدُ النَّظَرِ إلى مَلامِحِهِ الشِّرِّيرةِ يُوحي بِذَلِكَ. وَلَوْ قُورِنَتْ أَسْرارُهُ بِأَسْرارِ دُكْتُور جيكِل لَبَدَتِ الأَخيرةُ ناصِعةَ البَياضِ. مِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ تَسْتَمِرَّ الأُمورُ عَلى ما هِيَ عَلَيْهِ الآنَ. إِنَّ جِسْمي لَيَقْشَعِرُّ حينَما أَتَصَوَّرُ ذَلِكَ المَخْلوقَ يَتَسَلَّلُ كَاللِّصِّ إلى غُرْفةِ نَوْم هِنْري. يا لَكَ مِنْ مِسْكينٍ يا هِنْري عِنْدَما تَسْتَيْقِظُ وَتَراهُ أَمامَكَ. إِنَّ الأَمْرَ خَطيرٌ. فَإذا كانَ هايد هَذا عَلى عِلْمٍ بِالوَصِيَّةِ فَقَدْ يَعْمَلُ عَلى التَّعْجيلِ بِتَنْفيذِها لِيَرِثَكَ. إِنَّ الواجِبَ يَدْعُوني أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا، وَكَمْ أَتَمَنّى أَنْ يَسْمَحَ لي جيكِل بِذَلِكَ! كَمْ أَتَمَنّى أَنْ يَسْمَحَ لي!» وَعادَتْ بُنودُ الوَصِيَّةِ الغَريبةِ تَبْدو أَمامَ ناظِرَي أَتِرْسُون فَيَراها وَكَأَنَّما يَنْظُرُ في مِرآةٍ صافيةٍ.

الدُّكْتُور جِيكِل يَشْعُرُ بِالارْتياحِ

قامَ الدُّكْتُور جِيكِل بَعْدَ أُسْبوعَيْنِ بِدَعْوةِ بَعْضِ أَصْدِقائهِ القُدامى إلى تَناوُلِ العَشاءِ مَعَهُ في بَيْتِهِ. وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمُ السَّيِّدُ أَتِرْسُون الَّذي تَعَمَّدَ أَنْ يَظَلَّ مَعَ الدُّكْتُور جِيكِل إلى أَنْ ينْصَرِفَ جَميعُ المَدْعُوِّينَ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَيْئًا جَديدًا. بَلْ سَبَقَ أَنْ حَدَثَ مَرّاتٍ عَديدةً؛ إذْ إنَّ أَتِرْسُون كانَ مَحْبوبًا لدى أَصْدِقائهِ. وَكَثيرًا ما كانوا يَسْتَبْقُونَهُ لِيتَبادَلوا مَعَهُ أَطْرافَ الحَديثِ بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الثَّرْثارُونَ مِمَّنْ هُمْ أَقَلُّ مِنْهُ رَزانةً. وَكانَ الدُّكْتُور جِيكِل أَحَدَ هَؤلاءِ الأَصْدِقاءِ الَّذينَ يَسُرُّهُمْ ذَلِكَ. وَهَكَذا جَلَسَ أَمامَ أَتِرْسُون عِنْدَ طَرَفِ المِدْفأَةِ.

كانَ جِيكِل ضَخْمًا، حَسَنَ التَّقاطيعِ، حَليقَ الوَجْهِ، يُناهِزُ الخَمْسينَ مِنَ العُمْرِ. وَرُبَّما أَوْحى مَظْهَرُهُ بِأَنَّ لَدَيْهِ قَدْرًا مِنَ المَكْرِ، وَلَكِنَّهُ يَنُمُّ كَذَلِكَ عَنْ كَفاءَتِهِ وَمَيْلِهِ إلى العَطْفِ وَالمَحَبَّةِ. وَكانَتْ نَظْرَتُهُ إلى صَديقِهِ في تِلْكَ الجَلْسةِ تُعَبِّرُ عَمّا يُكِنُّهُ لَهُ مِنْ عاطِفةٍ صادِقةٍ.

بَدَأَ أَتِرْسُون الحَديثَ قائِلًا: «أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكَ ياجِيكِل. أَنْتَ تَذْكُرُ وَصِيَّتَكَ تِلْكَ؟»

لَوْ أَنَّ أَحَدًا نَظَرَ عَنْ كَثَبٍ إلى جِيكِل في تِلْكَ اللَّحْظةِ لَأَدْرَكَ أَنَّ هذا المَوْضوعَ غَيْرُ مُحَبَّبٍ إلى نَفْسِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَجابَ صَديقَهُ بِمَرَحٍ وَانشِراحٍ قائِلًا: «مِسْكينٌ أَنْتَ يا أَتِرْسُون. مِنْ سُوءِ حَظِّكَ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ

تُقَدِّمَ النُّصْحَ لِشَخْصٍ مِثْلي. إنَّني لَمْ أَرَ قَطُّ مَنْ ضاقَ بِشَيْءٍ قَدْرَ ضيقِكَ بِوَصِيَّتي.»

قالَ أَتِرْسُون: «أَنْتَ تَعْرِفُ أَنّي لَمْ أُوافِقْ عَلَيْها قَطُّ.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ جيكِل بِشَيْءٍ مِنَ الحِدَّةِ: «نَعَمْ! بِكُلِّ تَأْكيدٍ أَعْرِفُ ذَلِكَ. لَقَدْ قُلْتَهُ لي.»

فَواصَلَ المُحامي حَديثَهُ قائِلًا: «حَسَنًا، هَأَنَذا أَقولُ ذَلِكَ لَكَ مَرَّةً أُخْرى. لَقَدْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هايد.»

هُنا شَحَبَ وَجْهُ دُكْتُور جيكِل - ذَلِكَ الوَجْهُ السَّمْحُ المُسْتَديرُ - وَاصفَرَّ حَتَّى شَفَتَيْهِ. قالَ: «لا يُهِمُّني أَنْ أَسْمَعَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. أَعْتَقِدُ أَنَّنا اتَّفَقْنا عَلى أَلّا نَتَحَدَّثَ عَنْ هَذا المَوْضوعِ.»

قالَ أَتِرْسُون: «إنَّ ما سَمِعْتُهُ يُثيرُ الخَجَلَ.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ الطَّبيبُ بارتِباكٍ: «إنَّ هَذا لا يُغَيِّرُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا. إنَّ مَوْقِفي مُؤْلِمٌ يا أَتِرْسُون. وَهُوَ مَوْقِفٌ غَريبٌ.. غَريبٌ حَقًّا! وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذي لا يُمْكِنُ إصلاحُهُ بِالكَلامِ.»

قالَ أَتِرْسُون: «أَنْتَ تَعْرِفُني جَيِّدًا يا جيكِل. إنَّني شَخْصٌ يُوثَقُ بِهِ. وَعَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَني بِكُلِّ شَيْءٍ، وَاعلَمْ أَنَّ سِرَّكَ مَحْفوظٌ، وَلَيْسَ عِنْدي أَيُّ شَكٍّ في قُدْرَتي عَلى إخراجِكَ مِنْ هَذا المَأْزِقِ.»

قالَ الطَّبيبُ: «أَيُّها العَزيزُ أَتِرْسُون! إِنَّهُ لَجَميلٌ مِنْكَ أَنْ تَقولَ هَذا، وَلَسْتُ أَجِدُ مِنَ الكَلِماتِ ما أُعَبِّرُ بِهِ عَنْ شُكْري لَكَ. أَنا أُصَدِّقُكَ كُلَّ التَّصْديقِ. وَإِنَّ ثِقَتي بِكَ لَتَسْبِقُ ثِقَتي بِأَيِّ شَخْصٍ حَيٍّ آخَرَ. نَعَمْ، تَسْبِقُ ثِقَتي بِنَفْسي إِذا كانَ لي أَنْ أَخْتارَ. وَلَكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَما تَظُنُّ. وَلِكَيْ أُريحَ قَلْبَكَ الطَّيِّبَ سَأُخْبِرُكَ بِحَقيقَةٍ واحِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّ في وُسْعي التَّخَلُّصَ مِنْ مِسْتَر هايد في الوَقْتِ الَّذي أُريدُهُ. إِنّي أُعاهِدُكَ عَلى ذَلِكَ. وَإِنّي لَأَشْكُرُكَ مِرارًا وَتَكْرارًا. وَأُفَضِّلُ أَنْ أُضيفَ إِلى ذَلِكَ كَلِمَةً صَغيرَةً حَبَّذا لَوْ تَقَبَّلْتَها بِصَدْرٍ رَحْبٍ. إِنَّ هَذا المَوْضوعَ خاصٌّ لِلْغايَةِ وَأَرْجوكَ أَلّا تُثيرَهُ.»

صَمَتَ أَتِرْسُون فَتْرَةً ثُمَّ قالَ: «أَنْتَ على حَقٍّ دُونَ شَكٍّ.» ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا.

قالَ الطَّبيبُ: «حَسَنًا! وَلَكِنْ بِما أَنَّنا قَدْ أَشَرْنا إِلى هَذا المَوْضوعِ – وَأَتَمَنَّى أَنْ يَكونَ ذَلِكَ لِلْمَرَّةِ الأَخيرةِ – فَهُناكَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ أُحِبُّ مِنْكَ أَنْ تَعيَها. إِنَّ لَدَيَّ ما يَجْعَلُني أَهْتَمُّ اهتِمامًا كَبيرًا بِهايِد المِسْكين. أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَهُ، فَقَدْ أَخْبَرَني بِذَلِكَ. وَأَخْشَى أَنْ يَكونَ قَدْ تَصَرَّفَ مَعَكَ بِصُورةٍ غَيْرِ مُهَذَّبةٍ. وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَهُناكَ ما يَجْعَلُني أَهْتَمُّ اهتِمامًا شَديدًا بِذَلِكَ الشّابِّ. وَإِذا حَدَثَ أَنْ ذَهَبْتُ وَلَمْ أَعُدْ، فَإِنّي أُحِبُّ يا عَزيزي أَتِرْسُون أَنْ تَعِدَني بِأَنْ تَتَحَمَّلَهُ وَتَحْصُلَ لَهُ عَلى حُقوقِهِ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَعِدُني بِذَلك إِذا عَرَفْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذا المَوْضوعِ. وَسَوْفَ أَشْعُرُ بِالرّاحةِ كُلَّ الرّاحةِ لَوْ أَنَّكَ وَعَدْتَني بِذَلِكَ.»

قالَ المُحامي: «لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَدَّعي أَنَّ في إمْكاني أَنْ أُحِبَّهُ في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ.»

رَدَّ جيكِل قائلًا: «لَسْتُ أَطْلُبُ ذَلِكَ. إنَّ ما أَطْلُبُهُ هو أَنْ يحْصُلَ عَلى حَقِّهِ، وأَنْ تُساعِدَهُ مِنْ أَجْلي في حالة عدم وُجودي.»

قال أَتِرْسُون وَهُوَ يَتَنَهَّدُ: «حسنًا! أعدُك.»

قَضِيَّةُ اغتيالِ كارُو

بَعْدَ مُرورِ عامٍ تَقْريبًا، وَفي شَهْرِ أكتوبر سنةَ – ١٨ اهتَزَّتْ لَنْدَن لِجَريمةِ



قَتْلٍ اتَّسَمَتْ بِوَحْشيَّةٍ بالِغةٍ. وَمِمّا زادَ في انتِشارِ أَنْباءِ تِلْكَ الجَريمةِ أَنَّ القَتيلَ كانَ مِنْ شَخْصيّاتِ لَنْدَن المَرْموقةِ.

أَمّا بِالنِّسْبةِ لِتَفاصيلِها فَقَدْ كانَتْ مَحْدودةً وَعَجيبةً حَقًّا. ذَلِكَ أَنَّ إِحْدى الخادِماتِ كانَتْ تَعيشُ بِمُفْرَدِها في مَنْزِلٍ قَريبٍ مِنَ النَّهْرِ، وَفي حَوالَي السّاعةِ الحاديةَ عَشْرَةَ مَساءً ذَهَبَتْ إلى غُرْفَتِها بالدَّوْرِ العُلْويِّ لِتَنامَ. وَكانَتِ السَّماءُ صافيةً، وَأَشِعَّةُ القَمَرِ تُنيرُ الشّارِعَ الجانِبيَّ الَّذي تُطِلُّ عَلَيْهِ الغُرْفةُ: فَقَدْ كانَ القَمَرُ بَدْرًا.

وَيَبْدو أَنَّ الفَتاةَ كانَتْ مِنَ النَّوْعِ الخَياليِّ، فَقَدْ جَلَسَتْ عَلى صُنْدوقٍ بِجِوارِ النّافِذةِ، وَجَنَحَ بِها الخَيالُ. وَكانَتْ تَقولُ واصِفةً ما حَدَثَ وَالدُّموعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْها إِنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ مِنْ قَبْلُ أَنْ شَعَرَتْ بِما كانَتْ تَشْعُرُ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ حُبٍّ لِلدُّنيا وَلِلنّاسِ أَجْمَعين. وَبَيْنَما كانَتْ في جِلْسَتِها تِلْكَ رَأَتْ رَجُلًا مُسِنًّا وَسيمًا أَبْيَضَ الشَّعْرِ يَقْتَرِبُ، وَرَأَتْ كَذَلِكَ شَخْصًا آخَرَ ضَئيلَ الجِسْمِ يَتَّجِهُ نَحْوَهُ لِيُقابِلَهُ. وَلَمْ تَأْبَهِ (تَهْتَمَّ) الفَتاةُ بِهَذا الرَّجُلِ أَوَّلَ الأَمْرِ. وَعِنْدَما اقتَرَبَ (وَكانَ ذَلِكَ تَحْتَ النّافِذةِ الَّتي تُطِلُّ مِنْها الفَتاةُ مُباشَرةً) انحَنى الرَّجُلُ المُسِنُّ وَتَحَدَّثَ إلى الرَّجُلِ الآخَرِ في أَدَبٍ شَديدٍ. وَيَبْدو أَنَّ مَوْضوعَ الحَديثِ لَمْ يَكُنْ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرةٍ. وَكانَ واضِحًا مِنْ إشاراتِ يَدَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُ إِلّا عَنِ الطَّريقِ. وَكانَ ضَوْءُ القَمَرِ يُنيرُ وَجْهَهُ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ، وَقَدْ شَعَرَتِ الفَتاةُ بِارتياحٍ وَهِيَ تَلْمَحُ قَسَماتِ وَجْهِهِ الَّتي تَنُمُّ عَنْ طيبةٍ بَريئةٍ خالِصةٍ يَنْدُرُ وُجودُها في تِلْكَ الأَيّامِ، كما تَنُمُّ عَنْ رِفْعةٍ وَقَناعةِ نَفْسٍ. ثُمَّ اتَّجَهَتْ بِنَظَرِها

إلى الرَّجُلِ الآخَرِ وَكَمْ أَدْهَشَها أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَيْه إنَّهُ مِسْتَر هايِد الَّذي كان قَدْ زارَ سَيِّدَها ذاتَ مَرَّةٍ وَالَّذي شَعَرَتْ نَحْوَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الكَراهيةِ. وَكانَ يَحْمِلُ في يَدِهِ عَصًا غَليظةً يُلَوِّحُ بِها في تَكاسُلٍ. وَلَمْ يَرُدَّ هايِد عَلى سُؤالِ الرَّجُلِ المُسِنِّ، بَلِ استَمَعَ إلَيْه بِصَبْرٍ نافِذٍ. ثُمَّ انفَجَرَ فَجْأَةً في غَضَبٍ صاخِبٍ، وَأَخَذَ يَدُقُّ بِقَدَمَيْهِ الأَرْضَ، وَيُلَوِّحُ بِعَصاهُ في عُنْفٍ وَيَتَصَرَّفُ (عَلى حَدِّ تَعبيرِ الفَتاةِ) كَما لَوْ كانَ مَجْنونًا. أَمّا الرَّجُلُ المُسِنُّ فَقَدْ تَراجَعَ خُطْوةً إلى الخَلْفِ مَأْخوذًا بِهَذا التَّصَرُّف، وَبَدا كَأَنَّما قَدْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنَ الإهانةِ إزاءَهُ. وَعِنْدَئِذٍ فاقَ غَضَبُ هايِد الحُدودَ، فَكالَ لِلشَّيْخِ الضَّرَباتِ بِعَصاهُ حَتَّى أَوْقَعَهُ عَلى الأَرْضِ، ثُمَّ داسَ بِقَدَمَيْهِ عَلى ضَحِيَّتِهِ كَأَنَّما هُوَ شِمْبانزي غاضِبٌ. وَكالَ لَهُ مِنَ الضَّرَباتِ العَنيفةِ بِعَصاهُ ما هَشَّمَ عِظامَهُ وَجَعَلَ جَسَدَهُ يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ مِنْ عُنْفِ الضَّرَباتِ. وَكانَ مِنْ أَثَرِ هَذا أَنْ أُغمِيَ عَلى الفَتاةِ لِهَوْلِ ما رَأَتْ.

عِنْدَما استَعادَتِ الفَتاةُ وَعْيَها كانَتِ السّاعةُ الثّانيةَ صَباحًا فَأَسْرَعَتْ بِطَلَبِ الشُّرْطةِ. وَكانَ القاتِلُ قَدْ غادَرَ مَكانَ جَريمَتِهِ مُنْذُ فَتْرةٍ طَويلةٍ، أَمّا ضَحِيَّتُهُ فَكانَ مُلْقًى في عُرْضِ الطَّريقِ مُهَشَّمًا وَمُمَزَّقًا بِصُورةٍ لا يُصَدِّقُها عَقْلٌ. أَمّا العَصا الَّتي استُخْدِمَتْ في الجَريمةِ وَالَّتي كانَتْ مَصْنوعةً مِنَ الخَشَبِ الصُّلْبِ الثَّقيلِ فَقَدِ انكَسَرَتْ مِنْ شِدَّةِ الضَّرَباتِ وَتَدَحْرَجَ نِصْفُها في الشارِعِ، أَمّا النِّصْفُ الآخَرُ فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ القاتِلَ قَدْ أَخَذَهُ مَعَهُ.

وَوَجَدَتِ الشُّرْطةُ مَحْفَظَةَ نُقودِ القَتيلِ وَساعَتَهُ الذَّهَبيَّةَ لَمْ يَعْبَثْ بِهِما أَحَدٌ. وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ بِطاقةٌ أَوْ أَوْراقٌ بِاستِثْناءِ ظَرْفٍ مُغْلَقٍ وَمَخْتومٍ مِنَ

المُحْتَمَلِ أَنَّ القَتيلَ كانَ مُتَّجِهًا لِيَضَعَهُ في صُنْدوقِ البَريدِ. وَكانَ عَلى الظَّرْفِ اسمُ مِسْتَرْ أَتِرْسُون وَعُنْوانُهُ.

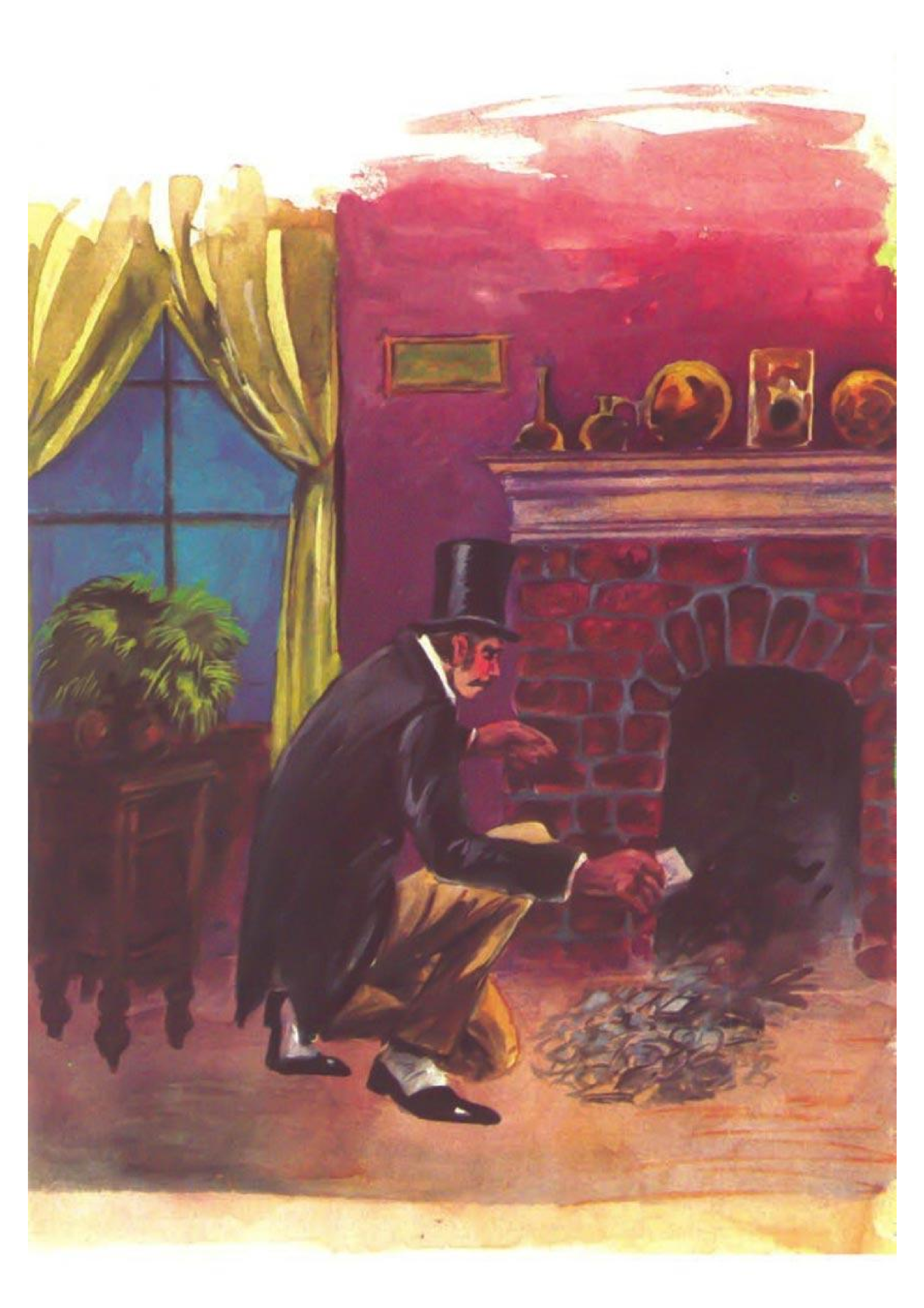
عِنْدَما أَشْرَقَ الصَّباحُ حَمَلَ شُرْطِيٌّ النَّبَأَ إلى السَّيِّدِ أَتِرْسُون في بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ. وَما إنْ سَمِعَ أَتِرْسُون بالحادِثِ حَتَّى عَبَسَ وَجْهُهُ وَقالَ لِلشُّرْطِيِّ: «لَنْ أَقولَ شَيْئًا حَتَّى أَرى الجُثَّةَ فَقَدْ يَكُونُ الأَمْرُ في غايةِ الخُطورةِ. تَفَضَّلْ بِالانتِظارِ حَتَّى أَرْتَديَ مَلابِسي.»

وَأَسْرَعَ في تَناوُلِ إفْطارِهِ وَارتِداءِ مَلابِسِهِ عابِسَ الوَجْهِ مُقَطِّبَ الجَبينِ، ثُمَّ قادَ عَرَبَتَهُ إلى مَرْكَزِ الشُّرْطةِ حَيْثُ كانَتِ الجُثَّةُ قَدْ نُقِلَتْ. وَما إنْ رَآها حَتَّى قالَ: «نَعَمْ، إنّي أَعْرِفُهُ. يُؤْسِفُني أَنْ أَقولَ إنَّ هَذِهِ جُثَّةُ سير دانْفرْز كارُو.»

صاحَ ضابِطُ الشُّرْطةِ في دَهْشةٍ: «يا لَلْعَجَبِ، هَلْ هَذا مُمْكِنٌ؟» ثُمَّ قالَ وَقَدْ راوَدَهُ أَمَلٌ في التَّرْقيةِ: «إنَّ هَذا الخَبرَ سَوْفَ يُحْدِثُ دَوِيًّا كَبيرًا، وَرُبَّما ساعَدْتَنا في التَّوَصُّلِ إلى القاتِلِ.» ثُمَّ سَرَدَ لَهُ بِإيجازٍ ما رَأَتْهُ الفَتاةُ وَأَراهُ العَصا المَكْسورةَ.

ذَهِلَ أَتِرْسُون وَانتابَتْهُ الحَيْرةُ عِنْدَما سَمِعَ اسمَ هايِد، وَلَكِنَّ حَيْرَتَهُ تِلْكَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ زالَتْ عِنْدَما رَأَى النِّصْفَ المَكْسورَ مِنَ العَصا. فَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ الجُزْءَ كانَ مُهَشَّمًا فَإنَّ أَتِرْسُون تَعَرَّفَ عَلَيْهِ. فَقَدْ كانَ هُوَ الَّذي أَهْدى تِلْكَ العَصا لِهِنْري جيكِل مُنْذُ سَنَواتٍ.

سَأَلَ أَتِرْسُون: «هَلْ مِسْتَر هايِد هَذا ضَئيلُ الجِسْمِ؟»



أَجابَ الشُّرْطيُّ: «ضَئيلُ الجِسْمِ، ذُو مَلامِحَ شِرِّيرةٍ عَلى حَدِّ تَعْبيرِ الفَتاةِ.»

أَطْرَقَ مِسْتَر أَتِرْسُون مُفَكِّرًا ثُمَّ قالَ: «إذا جِئْتَ مَعي في عَرَبَتي فأَعْتَقِدُ أَنَّ بِوُسْعي أَنْ آخُذَكَ إلى بَيْتِهِ.»

عِنْدَما تَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ أَمامَ المَنْزِلِ الَّذي في العُنْوانِ المَذْكورِ كانَ الضَّبابُ قَدِ انقَشَعَ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَأَظْهَرَ شارِعًا غَيْرَ نَظيفٍ، وَدُكّانًا لِبَيْعِ العَصيرِ، وَمَطْعَمًا رَخيصًا يُقَدِّمُ الأَطْعِمةَ غَيْرَ الإِنْجليزيَّةِ، وَعَدَدًا مِنَ الأَطْفالِ في أَسْمالِهِمُ (ثِيابِهِم القَديمَةِ) البالِيةِ يَرْتَعِدونَ مِنَ البَرْدِ، وَبَعْضَ النِّسْوةِ اللّاتي خَرَجْنِ مِنْ بُيوتِهِنَّ مُبَكِّراتٍ.

وَعادَ الضَّبابُ مَرَّةً أُخْرى وَحَجَبَ هَذِهِ المَناظِرَ عَمّا حَوْلَها. لَقَدْ كانَ ذَلِكَ هُوَ مَنْزِلَ الرَّجُلِ المُفَضَّلِ لَدى الدُّكْتُور جيكِل، وَالَّذي سَيَرِثُ رُبْعَ مِلْيونٍ مِنَ الجُنَيْهاتِ.

فَتَحَتِ البابَ امْرَأَةٌ ذاتُ شَعْرٍ أَبْيَض وَوَجْهٍ عاجِيٍّ. وَرَغْمَ أَنَّ مَلامِحَ وَجْهِها كانَتْ تَنْطِقُ بِالشَّرِّ، فَإِنَّ مَسْلَكَها كانَ مُهَذَّبًا لِلْغايةِ.

قالَتْ: «هَذا هُوَ بَيْتُ مِسْتَر هايد وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مَوْجودٍ، فَقَدْ جاءَ مُتَأَخِّرًا جِدًّا في اللَّيْلِ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ ساعةٍ. وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالأَمْرِ الغَريبِ فَهُوَ غَيْرُ مُنْتَظِمٍ في تَصَرُّفاتِهِ، وَغالِبًا ما يَتَغَيَّبُ عَنْ بَيْتِهِ. فَقَدْ تَغَيَّبَ عَنْهُ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ نَرَهُ بَعْدَهُما إلّا أَمْسِ.»

قالَ المُحامي: «حَسَنًا، نَحْنُ نُريدُ أَنْ نُفَتِّشَ المَنْزِلَ.» وَلَمّا حاوَلَتِ المَرْأَةُ الرَّفْض قالَ لَها: «أُفَضِّلُ أَنْ أُخبِرَكِ بِشَخْصِيَّةِ هَذا الرَّجُلِ الَّذي يَصْحَبُني، إِنَّهُ مُفَتِّشُ الشُّرْطَةِ نُيوكُومين.»

اِكْتَسَى وَجْهُ المَرْأَةِ بِمِسْحةٍ مِنَ السُّرورِ المَشُوبِ بِالحِقْدِ وَقالَتْ: «آهٍ! إِنَّهُ في مَأْزِقٍ! ماذا فَعَلَ؟»

فَتَبادَلَ كُلٌّ مِنْ أَتِرسُون وَالمُفَتِّشِ النَّظَراتِ، ثُمَّ قالَ المُفَتِّشُ: «يَبْدو أَنَّهُ لَيْسَ بِالشَّخْصِ المَحْبوبِ. وَالآنَ أَيَّتُها السَّيِّدةُ الطَّيِّبةُ، اسمَحي لي وَلِهَذا السَّيِّدِ أَنْ نُلْقِيَ نَظْرةً عَلى هَذا المَكانِ.»

لَمْ يَكُنْ مِسْتَر هايد يَشْغَلُ مِنَ البَيْتِ كُلِّهِ إِلّا غُرْفَتَيْنِ. وَلَمْ يَكُنْ بِهِ إِلّا تِلْكَ المَرْأَةُ العَجوزُ. وَكانَتِ الغُرْفَتانِ مُؤَثَّثَتَيْنِ بأَفْخَرِ الأَثاثِ الَّذي يَكْشِفُ عَنْ ذَوْقٍ سَليمٍ. وَكانَ الدُّولابُ مَليئًا بِالزُّجاجاتِ والمَلاعِقِ وَالشُّوَكِ الفِضِّيَّةِ، وَكانَ عَلى المائِدةِ مِفْرَشٌ فاخِرٌ، وَعَلى الحائِطِ كانَتْ صُورةٌ جَميلةٌ قالَ عَنْها أَتِرْسُون في نَفْسِهِ إِنَّها كانَتْ دُونَ شَكٍّ هَدِيَّةً مِنَ الدُّكْتُور جِيكِل الَّذي كانَ يَتَمَتَّعُ بِذَوْقٍ سَليمٍ. أَمّا السَّجاجيدُ فَقَدْ كانَتْ وَثيرةً (ناعِمَةً لَيِّنَةً) وَذاتَ أَلْوانٍ بَهيجةٍ.

كانَتِ الغُرْفَتانِ في تِلْكَ اللَّحْظةِ، في حالةِ فَوْضى تَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما قَدْ قامَ بِتَفْتيشِها مُنْذُ فَتْرةٍ قَصيرةٍ. فَقَدْ كانَتِ المَلابِسُ مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ وَجُيوبُها بارِزةً إِلى الخارِجِ، وَكانَتِ الأَدْراجُ مَفْتوحةً، وَبِالمِدْفَأَةِ كَوْمةٌ مِنَ الرَّمادِ مِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ أَوْراقًا كَثيرةً قَدْ أُحْرِقَتْ بِها. وَالتَقَطَ المُفَتِّشُ مِنَ وَسَطِ كَوْمةِ الرَّمادِ هَذِهِ كَعْبَ دَفْتَرِ شيكاتٍ أَخْضَرَ اللَّوْنِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ

النّيرانُ، كَما وَجَدَ النِّصْفَ الآخَرَ لِلْعصا وَراءَ البابِ مِمّا زادَ يَقينَ المُفَتِّشِ وَجَعَلَهُ يَشْعُرُ بِارتياحٍ شَديدٍ. وَقَدِ ازدادَ سُرورُهُ بَعْدَ أَنْ قامَ بِزيارةٍ لِلْبَنْكِ وَعَرَفَ أَنَّ لِلْقاتِلِ حِسابًا أَوْدَعَ فيهِ عدَّةَ آلافٍ مِنَ الجُنَيْهاتِ.

قالَ المُفَتِّشُ لأَتِرْسُون: «كُنْتُ عَلى ثِقةٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَقَعُ في قَبْضَتي لا مَحالةَ. لا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ عنْدَما تَرَكَ وَراءَهُ نِصْفَ العَصا وَحاوَلَ إحْراقَ دَفْتَرِ الشّيكاتِ. إنَّ المالَ عَصبُ الحَياةِ وَلَيْسَ عَلَيْنا إلّا أَنْ نَنْتَظِرَهُ في البَنْكِ وَنُراقِبَ أَيَّ تَعامُلٍ يَقومُ بِهِ هُناكَ.»

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مُحاوَلَةُ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ بالأَمْرِ الهَيِّنِ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ إلّا القَليلُونَ. بَلْ إنَّ الرَّجُلَ الَّذي أَجَّرَ لَهُ الخادِمةَ لَمْ يَرَهُ طَوالَ فَتْرةِ خِدْمَتِها لَهُ إلّا مَرَّتَيْنِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ لم تُؤْخَذْ صُورةٌ فُوتوغْرافيَّةٌ لِهايد قَطُّ، وَلَمْ يَهْتَدِ أَحَدٌ إلى مَعْرِفةِ أَيٍّ مِنْ أَقْرِبائِهِ أَوْ أَفْرادِ عائِلَتِهِ. وَمِمّا زادَ الطّينَ بِلَّةً أَنَّ مَنْ رَأَوْهُ اختَلَفوا اختِلافًا كَبيرًا في وَصْفِ مَلامِحِهِ، وَلَمْ يَتَّفِقوا إلّا في نُقْطةٍ واحِدةٍ وَهِيَ أَنَّ مَنْ يَراهُ لا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ أَنَّ هَيْئَتَهُ غَيْرُ طَبيعيَّةٍ.

حادِثَةُ الخِطابِ

ذَهَبَ أَتِرْسُون في ساعةٍ مُتأَخِّرةٍ مِنْ عَصْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ إلى مَنْزِلِ دُكْتُور جِيكِل، وَقادَهُ بُوول في التَّوِّ عَبْرَ المَطْبَخِ إلى فِناءٍ كانَ مِنْ قَبْلُ حَديقةً، ثُمَّ إلى جُزْءٍ مِنَ المَنْزِلِ كانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسمُ المَعْمَلِ. وَكانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَسْتَقْبِلُ فيها دُكْتُور جِيكِل صَديقَهُ أَتِرْسُون في ذَلِكَ الجُزْءِ مِنَ المَنْزِلِ، وَلِهَذا كانَ الفُضولُ يَدْفَعُ أَتِرْسُون إلى أَنْ يُدَقِّقَ النَّظَرَ في أَنْحاءِ ذَلِكَ المَبْنى الباهِتِ اللَّوْنِ، الَّذي لَمْ تَكُنْ بِهِ نَوافِذُ تُطِلُّ عَلى الشّارِعِ. وَأَخَذَ يُحَمْلِقُ حَوْلَهُ وَهُوَ في طَريقِهِ إلى مَعْمَلِ الطَّبيبِ وَقَدْ ساوَرَهُ شُعورٌ بَغيضٌ بِالتَّعَجُّبِ وَالاستِغْرابِ.

كانَ المَعْمَلُ غُرْفةً واسِعةً مُجَهَّزةً بِدَواليبَ زُجاجيَّةٍ، وَبِها مِرْآةٌ كَبيرةٌ وَمِنْضَدةٌ، وَلَها ثَلاثُ نَوافِذَ مُغَبَّرةٍ ذاتِ قُضْبانٍ حَديديَّةٍ تُطِلُّ عَلى الفِناءِ. وَكانَتِ النّارُ مُشْتَعِلةً في المِدْفأَةِ، وَكانَ عَلى رَفِّ المِدْخَنةِ مِصْباحٌ مُنيرٌ، إذْ إنَّ الضَّبابَ كان مِنَ الكَثافةِ بِحَيْثُ تَسَرَّبَ إلى داخِلِ المَنازِلِ وَجَعَلَ الرُّؤْيةَ مَحْدودةً. وَعَلى مَقْرَبةٍ مِنَ المِدْفأَةِ كانَ الدُّكْتُور جِيكِل جالِسًا شاحِبَ الوَجْهِ هَزيلًا. وَلَمْ يَقُمْ لِاسْتِقْبالِ ضَيْفِهِ بَلْ مَدَّ لَهُ يَدًا بارِدةً وَرَحَّبَ بِهِ بِصَوْتٍ مُتَغَيِّرٍ.

ما إنْ غادَرَ بُوول الغُرْفةَ حَتَّى قالَ أَتِرْسُون: «لا بُدَّ أَنَّكَ سَمِعْتَ الأَخْبارَ.»

أَصابتِ الطَّبيبَ رَعْشَةٌ وَقالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُهُمْ يَصيحونَ بِها في الشّارِعِ. سَمِعْتُهُمْ وَأَنا في غُرْفةِ الطَّعامِ.»

قالَ أَتِرْسُون: «باختِصارٍ، لَقَدْ كانَ كارُو أَحَدَ عُمَلائي وَكَذَلِكَ أَنْتَ. وَأُريدُ أَنْ أَعْرِفَ ما أَقومُ بِهِ. أَخْشى أَنْ يَكونَ قَدْ بَلَغَ بِكَ الجُنونُ حَدَّ إخفاءِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؟»

صاحَ الطَّبيبُ: «أُقْسِمُ بِالله يا أَتِرْسُون إنّي لَنْ أَراهُ ثانيةً. لَقَدْ أَنْهَيْتُ عَلاقَتي بِهِ في هَذا العالَمِ. لَقَدْ قَطَعْتُ عَلاقَتي بِهِ تَمامًا. وَالحَقيقةُ أَنَّهُ في غَيْرِ حاجةٍ إلى مُساعَدَتي. أَنْتَ لا تَعْرِفُهُ كَما أَعْرِفُهُ أَنا، إنَّهُ في أَمانٍ، في أَمانٍ كامِلٍ. وَأُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْمَعَ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ.»

كانَ المُحامي يَسْتَمِعُ باهْتِمامٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْتَحْ إلى تِلْكَ الطَّريقةِ المَحْمومةِ الَّتي كانَ يَتَحَدَّثُ بِها صَديقُهُ، فَقالَ لَهُ: «يَبْدو أَنَّكَ واثِقٌ مِنْهُ كُلَّ الثِّقةِ، وَإنّي أَتَمَنَّى - مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ - أَنْ تَكونَ مُصيبًا فيما تَقُولُ، فَهُناكَ احتِمالٌ أَنْ يُذْكَرَ اسمُكَ إذا عُرِضَ الأَمْرُ عَلى القَضاءِ.»

أَجابَهُ جيكِل: «إنّي واثِقٌ مِنْهُ كُلَّ الثِّقةِ، وَلَدَيَّ أَسْبابٌ أَكيدةٌ تَجْعَلُني أَثِقُ فيهِ، وَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُخْبِرَ بِها أَحَدًا، لَكِنْ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ يُمْكِنُني أَنْ أَطْلُبَ رَأْيَكَ فيهِ. لَقَدْ.. لَقَدْ تَسَلَّمْتُ خِطابًا وَلَسْتُ أَدْري هَلْ مِنَ الحِكْمةِ أن أُريَهُ لِرِجالِ الشُّرْطةِ. وَأُفَضِّلُ أَنْ أَتْرُكَ المَوْضوعَ في يَدِكَ يا أَتِرْسُون، فَأَنا واثِقٌ أَنَّكَ سَوْفَ تَقْطَعُ بِالرَّأْيِ السَّديدِ. فَثِقَتي فيكَ كَبيرةٌ.»

سَأَلَهُ المُحامي: «هَلْ تَخْشى أَنْ يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إلى اكتِشافِ مَكانِهِ؟» أَجابَهُ: «لا! لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَقول إنّي مُهْتَمٌّ بما يَحْدُثُ لهايد. لقدْ قَطَعْتُ صِلَتي بِهِ إلى الأَبَدِ. إنَّ ما يَهُمُّني هُوَ شَخْصي، فقدْ عرَّضني هذا المَوْقِفُ البَغيضُ إلى ما لا أُحِبُّ.»

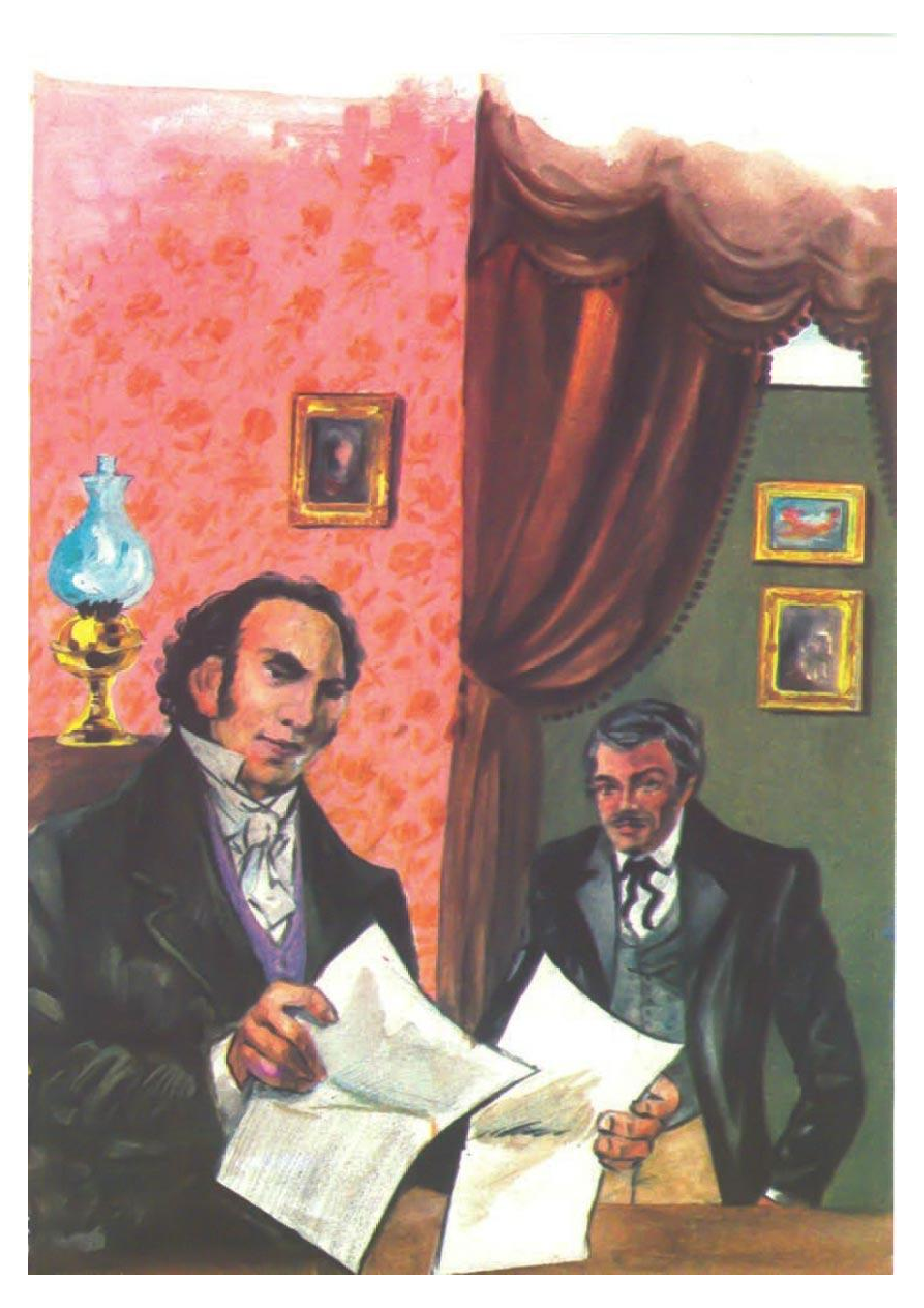
اِستَغْرَقَ أَتِرْسُون في التَّفْكيرِ لِفَتْرَةٍ قَصيرةٍ وَأَدْهَشَتْهُ أَنانية صَديقِهِ، وإن كانَ قَدْ شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الارْتياحِ لِذَلِكَ. قالَ أخيرًا: «أَرِني الخِطابَ.»

كانَ الخِطابُ مَكْتوبًا بِخَطٍّ رَأْسيٍّ غَريبٍ، وَمَخْتُومًا بِتَوْقيعِ إدْوارْد هايد. وَكانَ مُخْتَصَرًا، وَجاءَ فيهِ أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ آلافِ المُساعَداتِ الَّتي لَقِيَها مِنْ صَديقِهِ جيكِل فَإِنَّهُ - أَيْ هايد - لَمْ يُقابِلِ الإحْسان إلّا بالإساءة. وَقالَ إنَّهُ عَلى الدُّكْتُور جيكِل أَلّا يَقْلَقَ عَلى سَلامةِ صَديقِهِ هايد، لِأَنَّ لَدَيْهِ وَسيلةً لِلْهَرَبِ لا تَخيبُ. وَقَدِ ارتاحَ المُحامي لِهَذا الخِطابِ ارتياحًا كَبيرًا لِأَنَّهُ جَعَلَ لِلصَّداقةِ بَيْنَهُما صِبْغَةً أَفْضَلَ بِكَثيرٍ مِنْ تِلْكَ الصِّبْغَةِ الَّتي كانَتْ في مُخَيِّلَتِهِ. لِهَذا أَخَذَ يَلُومُ نَفْسَهُ عَلى تِلْكَ الشُّكوكِ الَّتي كانَتْ تُساوِرُهُ فيما مَضى.

ثُمَّ سَأَلَ الدُّكْتُور جيكِل: «هَلْ ظَرْفُ الخِطابِ مَعَكَ؟»

أَجابَهُ جيكِل: «لَقَدْ أَحرَقْتُهُ قَبْلَ أَنْ أُفَكِّرَ فيما أَفْعَلُهُ بِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ عَلى الظَّرْفِ أَيُّ خاتَمِ بَريدٍ، إذْ إنَّ الخِطابَ قَدْ سُلِّمَ بِاليَدِ.»

سَأَلَهُ أَتِرْسُون: «هَلْ لي أَنْ أَحْتَفِظَ بِهَذا الخِطابِ لِأَنّي في حاجةٍ إلى بَعْضِ الوَقْتِ لأفكِّرَ فيهِ؟»



أَجابَهُ: «أَرْجُوكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ نيابةً عَنّي بِصُورةٍ كامِلةٍ. فَقَدْ فَقَدْتُ ثِقتي في نَفْسي.»

قالَ المحامي: «حَسَنًا، سَوْفَ أُفكِّرُ في الأَمْرِ. وَالآنَ لَدَيَّ سُؤالٌ آخَرُ. هَلْ كانَ هايِد هُوَ الَّذي أَمْلَى شُروطَ الوَصِيَّةِ وذَكَرَ البَنْدَ الخاصَّ بِالاختِفاءِ؟»

بَدا الطَّبيبُ وَكَأَنَّما قَدْ أُصيبَ بِإغماءةٍ مُفاجِئةٍ، وَأَطْبَقَ فَمَهُ ثُمَّ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ مُوافِقًا.

قالَ أَتِرْسُون: «كُنْتُ أَعرِفُ ذَلِكَ فَقَدْ كانَ يَنْوي اغتيالَكَ. إنَّكَ نَجَوْتَ بِأُعْجوبةٍ.»

رَدَّ عَلَيْهِ الطَّبيبُ: «لَقَدْ حَصَلْتُ عَلى ما هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثيرٍ. لَقَدْ أَخَذْتُ دَرْسًا، وَيا لَهُ مِنْ دَرْسٍ يا أَتِرْسُون!» ثُمَّ غَطَّى وَجْهَهُ بِكِلْتا يَدَيْهِ.

تَوَقَّفَ مِسْتَر أَتِرْسُون لِيَتَحادَثَ مَعَ بُول. قالَ لَهُ: «بِالمُناسَبةِ يا بُول، لَقَدْ جاءَ شَخْصٌ لِيُسَلِّمَ خِطابًا اليَوْمَ، فَما كانَ شَكْلُ هَذا الشَّخْصِ؟» لَكِنَّ بُول أَكَّدَ أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ أَيُّ خِطاباتٍ إلّا عَنْ طَريقِ البَريدِ.

عِنْدَما سَمِعَ المُحامي ذَلِكَ غادَرَ المَكانَ وَقَدْ تَجَدَّدَتْ مَخاوِفُهُ. لابُدَّ أَنَّ هَذا الخِطابَ قَدْ جاءَ مِنْ بابِ المَعْمَلِ، بَلْ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكُون قَدْ كُتِبَ داخِلَ المَعْمَلِ، وَإذا كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَمِنَ الواجِبِ أَنْ يَنْظُرَ إلَيْهِ مِنْ زاوِيةٍ جَديدةٍ وَأَنْ يُمْعِنَ التَّفْكيرَ في أَمْرِهِ. وَأَثْناءَ سَيْرِهِ كانَ باعةُ الصُّحُفِ يَصيحونَ في الشَّوارِعِ: «مُلْحَقٌ خاصٌّ! الاغتيالُ الفَظيعُ لأَحَدِ أَعْضاءِ البَرْلَمان!»

كانَتْ تِلْكَ الصَّيْحاتُ تَنْعي أَحَدَ أَصْدِقائِهِ وَعُمَلائِهِ. وَكانَ يَخْشى أَنْ يَكُونَ في نَفْسِ المَقْبَرةِ مَصيرُ السُّمْعةِ الطَّيِّبةِ الَّتي كانَ يَتَمَتَّعُ بِها صَديقُهُ وَأَحَدُ عُمَلائِهِ. إنَّ القَرارَ الَّذي كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهُ قَرارٌ في غايةِ الصُّعوبةِ وَلِهَذا بَدَأَ يَشْعُرُ بِحاجةٍ إلى المَشورةِ.

بَعْدَ فَتْرَةٍ كانَ أَتِرْسُون جالِسًا إلى جانِبِ مِدْفَأَتِهِ، وَعَلى الجانِبِ الآخَرِ كانَ السَّيِّدُ جِسْت مُديرُ مَكْتَبِهِ. وَكانَتْ نارُ المِدْفأَةِ قَدْ بَعَثَتِ الدِّفْءَ في الغُرْفةِ فَبَدَأَ أَتِرْسُون يَشْعُرُ بِالرَّغْبةِ في الحَديثِ مَعَ جِسْت الَّذي يَضَعُ فيهِ ثِقَتَهُ، وَلا يُخْفي عَنْهُ مِنْ أَسْرارِهِ إلّا النّادِرَ مِنْها. وَكانَ جِسْت يَذْهَبُ إلى مَنْزِلِ الطَّبيبِ كُلَّما اقتَضَتْ ظُروفُ العَمَلِ.

وَهُوَ يَعْرِفُ بُول وَلا بُدَّ أَنَّهُ سَمِعَ عَنْ مِسْتَر هايد وَكَثْرةِ ذَهابِهِ إلى مَنْزِلِ الطَّبيبِ. ألا يَجْعَلُهُ هَذا يَظُنُّ الظُّنونَ بِالطَّبيبِ؟

أَلَيْسَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يُرِيَهُ أَتِرْسُون الخِطابَ الَّذي سَيُلْقي ضَوْءًا يَكْشِفُ ذَلِكَ الغُموضَ؟ وَعِلاوةً عَلى ذَلِكَ فَقَدْ كانَ جِسْت حَصيفَ الرَّأْيِ، وَلَنْ يَقْرَأَ مِثْلَ هَذا الخِطابِ الغَريبِ دُونَ أَنْ يُبْدِيَ مُلاحَظةً ما، وَرُبَّما كانَ لِهَذِهِ المُلاحَظةِ أَثَرٌ في تَوْجيهِ أَتِرْسُون نَحْوَ الطَّريقِ الَّذي يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَسْلُكَهُ.

قالَ المُحامي: «يُحْزِنُني ما حَدَثَ لِسِير دانْفِرْز.»

قالَ جِسْت: «إنَّهُ لأَمْرٌ مُحزِنٌ حَقًّا، وَقَدْ أَثارَ الشُّعورَ العامَّ إثارةً كَبيرةً. وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ القاتِلَ شَخْصٌ مَجْنونٌ.»

أَجابَهُ أَتِرْسُون: «أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ رَأيَكَ. لَدَيَّ هُنا خِطابٌ مَكْتوبٌ بِخَطِّ يَدِهِ – هَذا الأَمْرُ سِرٌّ بَيْني وَبَيْنَكَ – وَأنا في حَيْرةٍ ماذا أَفْعَلُ بِهِ؟ إنَّ المَوْضوعَ كُلَّهُ بَغيضٌ إلى نَفْسي، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُواجِهَهُ. هَأَنذا أَجِدُ أَمامي رسالةً بِخَطِّ مُجْرِمٍ قاتِلٍ.»

لَمَعَتْ عَيْنا جِسْت وَجَلَسَ عَلى التَّوِّ يَدْرُسُ الخِطابَ بِتُؤَدةٍ، ثُمَّ قالَ: «لا يا سَيِّدي، لَيْسَ مَجْنُونًا وَلَكِنَّ خَطَّهُ غَريبٌ.»

قالَ أَتِرْسُون: «وَكاتِبُهُ غَريبٌ أَيْضًا دُونَ شَكٍّ.» وَفي تِلْكَ اللَّحْظةِ دَخَلَ الخادِمُ وَمَعَهُ رِسالةٌ.

فَسَأَلَ جِسْت: «هَلْ هَذِهِ الرِّسالةُ مِنْ دُكْتُور جيكِل يا سَيِّدي؟ أَعْتَقِدُ أَنّي أَعْرِفُ خَطَّهُ. هَلْ تَدورُ حَوْلَ مَوْضُوعٍ خاصٍّ؟»

أَجابَ المُحامي: «لا، مُجَرَّدُ دَعْوةٍ إلى العَشاءِ. لماذا تَسْأَلُ؟ هَلْ تُريدُ أَنْ تَقْرَأَها؟»

أَجابَ جِسْت: «أَريدُ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرةً عَلَيْها إذا سَمَحْتَ. شُكْرًا!»

أَخَذَ جِسْت الرِّسالة ثُمَّ وَضَعَ الرِّسالَتَيْنِ أَمامَهُ، وَراحَ يُقارِنُهُما بِعِنايةٍ. وَأَخيرًا أَعادَ الرِّسالَتَيْنِ لأَتِرْسُون قائِلًا: «أَشْكُرُك يا سَيِّدي! إنَّ الخَطَّ مُثيرٌ للاهْتِمامِ للغايةِ.»

أَعَقَبَتْ ذَلِكَ فَتْرةُ صَمْتٍ كانَ أَتِرْسُون خِلالَها في صِراعٍ داخِليٍّ، ثُمَّ سَأَلَ جِسْت فَجْأَةً: «لِماذا قارَنْتَ الرِّسالَتَيْنِ يا جِسْت؟»

أَجابَ: «هُناكَ يا سَيِّدي تَشابُهٌ غَريبٌ بَيْنَ الخَطَّيْنِ في كَثيرٍ مِنَ النَّواحي، وَالخِلافُ الوَحيدُ بَيْنَهُما في دَرَجةِ انحِناءِ حُروفِهِما.»

قالَ أَتِرْسُون: «هَذا شَيْءٌ غَريبٌ.»

قالَ جِسْت: «نَعَمْ يا سَيِّدي! هُوَ غَريبٌ كَما تَقُولُ.»

قال أَتِرْسُون: «أُفَضِّلُ أَلّا تُخْبِرَ أَحَدًا بِهَذا الخِطابِ.»

قالَ جِسْت: «أَفْهَمُ ذَلِكَ يا سَيِّدي، وَلَنْ أُخْبِرَ أَحَدًا.»

ما إِنِ انفَرَدَ أَتِرْسُون بِنَفْسِهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى وَضَعَ الخِطابَ في خَزينَتِهِ حَيْثُ ظَلَّ فيها مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ: «ما الَّذي حَدَثَ؟ هَلْ قامَ هِنْري جيكِل بِعَمَلِيَّةِ تَزْويرٍ مِنْ أَجْلِ قاتِلٍ؟» وَجَرى الدَّمُ بارِدًا في عُروقِهِ.

حادِثَةُ الدُّكْتُور لانْيُون العَجيبةُ

مَرَّتِ الأَيّامُ وَعُرِضَتْ مُكافَأَةٌ قيمَتُها آلافُ الجُنَيْهاتِ لِمَنْ يُرْشِدُ إلى القاتِلِ. وَلَكِنَّ هايِد لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ وَكَأَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وُجودٌ قَطُّ. وَبَدَأَ النّاسُ يَتَناقَلُونَ أَحْداثَ ماضيهِ، وَكانَتْ جَميعُها أَحْداثًا مُخْجِلَةً؛ فَكَثيرًا ما تَحَدَّثوا عَنْ فَظاظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ، وَعَنْ أُسْلوبِ حَياتِهِ الدَّنيءِ، وَرِفاقِهِ ذَوي الأَطْوارِ الغَريبةِ، وَعَنِ الكَراهيةِ الَّتي كانَتْ تُحيطُ بِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنِ المَكانِ الَّذي يُقيمُ فيه، فَمُنْذُ أَنْ غادَرَ هايِد مَنْزِلَهُ في سُوهُو يَوْمَ حادِثَةِ الاغْتِيالِ اختَفى تَمامًا.

أَمّا مِسْتَر أَتِرْسُون فَقَدْ بَدَأَ يَسْتَرِدُّ هُدوءَهُ بِصُورةٍ تَدْريجيَّةٍ بَعْدَ حالةِ الذُّعْرِ الَّتي كانَتْ قَدْ أَلَمَّتْ بِهِ. وَبَدَأَ خَيالُهُ يُصَوِّرُ لَهُ أَنَّ اختِفاءَ هايِد قَدْ عَوَّضَ مَقْتَلَ سِير دانْفِرْز، وَأَنَّ دُكْتُور جيكِل سَوْفَ تُكْتَبُ لَهُ حَياةٌ جَديدةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْحَسِرَ عَنْهُ ذَلِكَ التَّأْثيرُ السَّيِّئُ لِهايِد عَلَيْهِ. وَبَدَأَ الدُّكْتُور جيكِل يُغادِرُ مَنْزِلَهُ بِانتِظامٍ أَكْثَرَ، وَجَدَّدَ عَلاقاتِهِ مَعَ أَصْدِقائِهِ، وَأَخَذَ يَتَزاوَرُ مَعَهُمْ وَيَتَسامَرُ. وَإذا كانَ قَدْ عُرِفَ مِنْ قَبْلُ بِمُساهَماتِهِ الخَيْرِيَّةِ العَديدةِ، فَقَدْ أَصْبَحَ الآنَ مَعْرُوفًا كَذَلِكَ بِمُيولِهِ الدّينيَّةِ المُتَمَيِّزةِ. وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ انهِماكًا في العَمَلِ، وَأَكْثَرَ خُروجًا إلى الخَلاءِ، وَقِيامًا بِأَعْمالِ الخَيْرِ. وَبَدا وَجْهُهُ وَقَدِ انْبَسَطَ وَانفَرَجَتْ أَساريرُهُ، وَظَلَّ في راحةٍ نَفْسيَّةٍ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ.

في الثّامِنِ مِنْ يَنايِر تَناوَلَ أَتِرْسُون طَعامَ العَشاءِ مَعَ الطَّبيبِ ضِمْنَ مَجْموعةٍ

صَغيرةٍ مِنَ الأَصْدِقاءِ - وَكانَ لانْيُون واحِدًا مِنْهُم. وَخِلالَ اجتِماعِهِمْ كانَ جيكِل يُعَبِّرُ عَنْ خالِصِ المَوَدَّةِ وَالحُبِّ وَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ صَديقٍ إلى صَديقٍ كَعَهْدِهِ في الأَيّامِ الماضيةِ.

لَكِنْ حَدَثَ في الثّاني عَشَرَ وَالرّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ نَفْسِهِ أَنْ أَغْلَقَ الطَّبيبُ بابَهُ دُونَ صَديقِهِ المُحامي، وَقالَ بُول: «إنَّ الطَّبيبَ غَيْرُ قادِرٍ عَلى مُغادَرةِ البَيْتِ، وَلَيْسَ في وُسْعِهِ أَنْ يُقابِلَ أَحَدًا.» وَحاوَلَ أَتِرْسُون مُقابَلةَ جيكِل مَرَّةً أُخْرى في الخامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ وَلَكِنَّ جيكِل رَفَضَ مُقابَلَتَهُ أَيْضًا. وَلِأَنَّ أَتِرْسُون قَدِ اعتادَ رُؤْيَةَ صَديقِهِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْريبًا خِلالَ الشَّهْرَيْنِ الماضِيَيْنِ فَقَدْ بَدَأَ يَشْعُرُ بِالوَحْدةِ وَالقَلَقِ.

وَفي اللَّيْلةِ الخامِسةَ عَشْرةَ دَعا جِسْت لِيَتَناوَلَ العَشاءَ مَعَهُ، أَمّا في اللَّيْلةِ السّادِسةَ عَشْرةَ فَقَدْ ذَهَبَ إلى دُكْتُور لانْيُونَ وَهُناكَ قُوبِلَ بِالتَّرْحابِ. وَلَكِنْ عِنْدَما دَخَلَ المَنْزِلَ شَعَرَ بِصَدْمةٍ كَبيرةٍ عِنْدَما لاحَظَ ما طَرَأَ عَلى مَظْهَرِ صَديقِهِ مِنْ تَغَيُّرٍ. لَقَدْ بَدا وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بالإِعْدامِ. فَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ الوَرْديُّ، وَهُزِلَ جَسَدُهُ، وَبَدا بِوُضوحٍ أَنَّ رَأْسَهُ أَكْثَرُ صَلَعًا وَوَجْهَهُ أَكْثَرُ تَجْعيدًا. وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مَظاهِرُ التَّدَهْوُرِ الجِسْميِّ تِلْكَ هِيَ الَّتي أَقْلَقَتِ المُحامي وَصَدَمَتْهُ، بَلْ نَظَراتُ عَيْنَيْهِ وَطَريقةُ تَصَرُّفاتِهِ مِمّا أَوْحى بِوُجودِ شَيْءٍ ما في أَغْوارِ نَفْسِهِ يُثيرُ رُعْبَهُ وَفَزَعَهُ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الخَوْفَ مِنَ المَوْتِ لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ خَوْفِ الطَّبيبِ. فَإِنَّ تَفْكيرَ أَتِرْسُون قَدِ اتَّجَهَ هَذا الاتِّجاهَ.

قالَ لِنَفْسِهِ: «نَعَمْ، إِنَّهُ طَبيبٌ وَيَعْرِفُ حالَتَهُ الصِّحِّيَّةَ كُلَّ المَعْرِفةِ، وَإِنَّ أَيّامَهُ قَدْ أَصْبَحَتْ مَعْدودةً، وَلَيْسَ في وُسْعِهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ ذَلِكَ.» لَكِنْ عِنْدَما أَشارَ أَتِرْسُون إِلى ما لاحَظَهُ مِنْ مَظاهِرِ اختِلالِ صِحَّةِ صَديقِهِ رَدَّ عَلَيْهِ لانْيُون بِأَنَّهُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ لا مَحالةَ. قالَ: «لَقَدْ أُصِبْتُ بِصَدْمةٍ لَنْ أَنْجُوَ مِنْها. إِنَّ الأَمْرَ لَنْ يَعْدُوَ بِضْعَةَ أَسابيعَ. لَقَدْ كانَتِ الحَياةُ سارَّةً وَكُنْتُ أُحِبُّها! نَعَمْ يا سَيِّدي كُنْتُ أُحِبُّها، وَلَكِنّي أَقولُ لِنَفْسي في بَعْضِ الأَحْيانِ لَوْ أَنَّنا عَرَفْنا كُلَّ شَيْءٍ لَسَرَّنا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ هَذِهِ الحَياةِ.»

قالَ أَتِرْسُون: «إِنَّ جيكِل مَريضٌ أَيْضًا، هَلْ رَأَيْتَهُ؟»

تَجَهَّمَ وَجْهُ الطَّبيبِ وَرَفَعَ يَدَهُ المُرْتَعِشةَ قائِلًا: «إِنّي لا أُرَحِّبُ بِأَنْ أَرى الدُّكْتُور جيكِل أَوْ أَسْمَعَ شَيْئًا عَنْهُ. إِنَّ ما بَيْني وَبَيْنَ هَذا الشَّخْصِ قَدِ انفَصَمَ انفِصامًا كامِلًا، وَأَرْجو مِنْكَ أَلّا تَدْفَعَني إِلى الحَديثِ عَنْ رَجُلٍ أَعْتَبِرُهُ مَيِّتًا.»

تَعَجَّبَ المُحامي لِهَذا الرَّدِّ، ثُمَّ سَأَلَ بَعْدَ فَتْرةِ صَمْتٍ: «هَلْ في وُسْعي أَنْ أَقُومَ بِشَيْءٍ؟ نَحْنُ الثَّلاثةَ تَرْبُطُنا صَداقةٌ قَديمةٌ، وَلَنْ يَمْتَدَّ بِنا العُمْرُ لِنُكَوِّنَ صَداقاتٍ جَديدةً.»

أَجابَ لانْيُون: «لَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ عَمَلُ شَيْءٍ. سَلْهُ.»

قالَ أَتِرْسُون: «إِنَّهُ يَرْفُضُ لِقائي.»

رَدَّ لانْيُون قائِلًا: «إِنَّ تَصَرُّفَهُ هَذا لا يُدْهِشُني. رُبَّما تَعْرِفُ مُسْتَقْبَلًا يا

أَترْسُون، بَعْدَ أَنْ أَموتَ، ما بِهَذا الأَمْرِ مِنْ خَطَإٍ وَصَوابٍ. لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُخْبِرَكَ الآنَ. وَفي نَفْسِ الوَقْتِ إذا كانَ في إمْكانِكَ أَنْ تَجْلِسَ وَتَتَحَدَّثَ مَعي في مَوْضُوعٍ آخَرَ فاجْلِسْ. أَمّا إذا لَمْ يَكُنْ في وُسْعِكَ أَنْ تَتَجَنَّبَ الحَديثَ عَنْ هَذا المَوْضوعِ المَلْعونِ فَأَسْتَحْلِفُكَ باللهِ أَنْ تَذْهَبَ، فَلَيْسَ في إمْكاني أَنْ أَحْتَمِلَ الحَديثَ فيه.»

ما إنْ وَصَلَ أَترْسُون إلى بَيْتِهِ حَتَّى كَتَبَ خِطابًا إلى جيكِل يَشْكُو مِنْ عَدَمِ السَّماحِ لَهُ بِلِقائِهِ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ هَذا الخِلافِ البَغيضِ الَّذي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لانْيُون.

في اليَوْمِ التّالي تَلَقَّى رَدًّا طَويلًا عَلى خِطابِهِ، وَكانَ زاخِرًا بِعِباراتِ الأَسَى والحُزْنِ، وَيَشُوبُهُ قَدْرٌ مِنَ الغُموضِ. جاءَ في الخِطابِ:

«إنَّ ما حَدَثَ مِنْ خِلافٍ بَيْني وَبَيْنَ لانْيُون لا عِلاجَ لَهُ. وَأَنا لا أَلومُ صَديقي لانْيُون، وَلَكِنّي أُوافِقُهُ عَلى رَأْيِهِ بِأَنَّ عَلَيْنا أَلّا نَلْتَقِيَ أَبَدًا بَعْدَ ذَلِكَ. وَأَنا أَنْوي مِنَ الآنَ فَصاعِدًا أَنْ أَعيشَ في عُزْلَةٍ عَنِ النّاسِ، وَعَلَيْكَ أَلّا تَشْعُرَ بِالدَّهْشَةِ لِهَذا القَرارِ، أَوْ تَشُكَّ في صَداقَتي وَمَوَدَّتي نَحْوَكَ إذا أَنا أَغْلَقْتُ بابي دُونَ النّاسِ بَل دُونَكَ أَيْضًا. وَعَلَيْكَ أَنْ تَدَعَني أَسيرُ في طَريقي المُظْلِمِ هَذا. فَقَدْ جَلَبْتُ لِنَفْسي مِنَ الشُّرورِ والأَخطارِ ما لا أَقْدِرُ عَلى تَوْضيحِ حَقيقَتِهِ لَكَ. وَلَكِنْ أَقولُ إذا كُنْتُ أَكْبَرَ المُذْنِبينَ، فأَنا أَيْضًا أَكْثَرُ النّاسِ مُعاناةً وَأَلَمًا. وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ في هَذا العالَمِ إنْسانًا آخَرَ يُعاني مِثْلَ هَذِهِ المُعاناةِ وَهَذا الفَزَعِ. وَلَيْسَ في وُسْعِكَ إلّا أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا واحِدًا يا أَترْسُون كَيْ تُخَفِّفَ مِنْ أَلَمي وَهُوَ أَلّا تَسْأَلَني عَنْ شَيْءٍ.»

دَهِشَ أَتِرْسُون مِنْ هَذا الخِطابِ. فَمُنْذُ أُسْبُوعٍ واحِدٍ فَقَطْ كانَ التَّأْثيرُ السَّيِّئُ لِهايد قَدِ انزاحَ، وَكانَ الطَّبيبُ قَدْ عادَ إلى سابِقِ صَداقاتِهِ وَأَعْمالِهِ، وَابتَسَمَتْ لَهُ الدُّنْيا، وَلاحَتْ تَباشيرُ عَهْدٍ مِنَ المَسَرَّةِ وَالبِشْرِ. أَمّا الآنَ فَقَدْ تَحَطَّمَتْ في لَحْظَةٍ واحِدَةٍ كُلُّ مَظاهِرِ الصَّداقةِ وَراحةِ البالِ. بَلْ إنَّ حَياةَ صَديقِهِ ذاتَها قَدْ أَصْبَحَتْ مُعَرَّضَةً لِلانهيارِ. إنَّ مِثْلَ هَذا التَّغَيُّرِ الكَبيرِ غَيْرِ المَتَوَقَّعِ إنَّما يُشيرُ إلى أَنَّ صَديقَهُ قَدْ أُصيبَ بالجُنونِ، وَلَكِنَّ كَلِماتِ لانْيُون وَتَصَرُّفاتِهِ عِنْدَما أَشارَ إلى هذا المَوْضوعِ تُفيدانِ بِأَنَّ السَّبَبَ أَعْمَقُ مِنْ مُجَرَّدِ الجُنونِ.

لازَمَ لانْيُون فِراشَهُ بَعْدَ أُسْبوعٍ، ثُمَّ لَفَظَ نَفَسَهُ الأَخيرَ بَعْدَ مُرورِ حَوالَي أُسْبوعَيْنِ. وَفي اللَّيْلةِ الَّتي أَعْقَبَتِ الجِنازَةَ (وَكانَ أَتِرْسُون خِلالها في غايةِ التَّأَثُّرِ) أَغْلَقَ أَتِرْسُون بابَ مَكْتَبِهِ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ في ضَوْءِ شَمْعةٍ، وَأَخْرَجَ مِنْ خَزينَتِهِ ظَرْفًا مَكتوبًا بِخَطِّ صَديقِهِ المُتَوَفَّى وَمَخْتومًا بِخاتَمِهِ. وَكانَ عَلى الظَّرْفِ تَعْليماتٌ واضِحةٌ تَقولُ: «خاصٌّ: لِيَدِ السَّيِّدِ ج. أَتِرْسُون وَحْدَهُ – وفي حالةِ وَفاتِهِ يُحْرَقُ دُونَ قِراءَتِهِ.»

شَعَرَ المُحامي بِالخَوْفِ مِمّا يَحْويه هَذا الظَّرْفُ وَقالَ في نَفْسِهِ: «لَقَدْ دَفَنْتُ اليَوْمَ صَديقًا وَأَخْشَى أَنْ يُكَلِّفَني هَذا صَديقًا آخَرَ.» وَلَكِنَّهُ تَراجَعَ عَنْ خَوْفِهِ هَذا مُعْتَبِرًا إيّاهُ عَدَمَ وَفاءٍ لِذِكْرى صَديقِهِ، ثُمَّ فَضَّ (فَتَحَ) الظَّرْفَ فَوَجَدَ بداخِلِهِ ظَرْفًا آخَرَ مَكْتوبًا عَلَيْهِ: «لا يُفْتَحُ إلّا عِنْدَ مَوْتِ دُكْتُور هِنْري جيكِل أَوِ اخْتِفائِه.»

لَمْ يُصَدِّقْ أَتِرْسُون عَيْنَيْهِ. نَعَمْ، إنّ عَلى الظَّرْفِ كَلِمةَ «اخْتِفائِهِ» كَما في الوَصيَّةِ اللَّعينةِ الَّتي كانَ قَدْ أَعادَها مُنْذُ فَتْرةٍ طَويلةٍ إلى صاحِبِها. وَها هُوَ ذا يَرى الآنَ كَلِمةَ «اختِفائِهِ» مَقْرونةً بِاسم هِنْري جيكِل. ما مَعْنى هَذِهِ الكَلِمةِ الآنَ وَهِيَ مَكْتوبةٌ بِيَدِ لانْيُون؟ وَجَعَلَهُ الفُضولُ يُفَكِّرُ في أَنْ يَتَجاهَلَ تَعْليماتِ صَديقِهِ لانْيُون، وَأَنْ يَغوصَ في الحالِ إلى أعْماقِ هَذِهِ الأَسْرارِ. وَلَكِنَّ شَرفَهُ كَمُحامٍ وَوَلاءَهُ لِذِكْرى صَديقِهِ مَنَعاهُ مِنْ أَنْ يُنَفِّذَ ما هَمَّ بِهِ. وَظَلَّتِ الأَوْراقُ راقِدةً في أَقْصى رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ الخَزينةِ.

مِنَ المَشْكوكِ فيهِ أَنْ يَكونَ أَتِرْسُون قَدْ شَعَرَ مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ بِنَفْسِ الرَّغْبةِ الَّتي كانَتْ تَدْفَعُهُ مِنْ قَبْلُ لِأَنْ يَلْتَقيَ بِجيكِل. لَقَدْ كانَ يُفَكِّرُ فيهِ بِقَدْرٍ مِنَ العَطْفِ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ مِنَ القَلَقِ وَالخَوْفِ أَيْضًا. وَالحَقيقةُ أَنَّهُ ذَهَبَ لِزيارَتِهِ وَلَكِنَّهُ شَعَرَ بِالارْتياحِ عِنْدَما رَفَضَ جيكِل لِقاءَهُ. وَلَعَلَّ أَتِرْسُون – في قَرارةِ نَفْسِهِ – كانَ يُفَضِّلُ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ بُوول عَلى عَتَبةِ البابِ. وَلَمْ تَكُنِ الأَخْبارُ الَّتي يُقَدِّمُها بُوول سارَّةً، ذَلِكَ أَنَّ الطَّبيبَ زادَ مِنْ بَقائِهِ في غُرْفَتِهِ الصَّغيرةِ فَوْقَ المَعْمَلِ حَيْثُ كانَ يَنامُ كَذلِكَ في بَعْضِ الأَحْيانِ. وَكانَ مَهْمُومًا، دائِمَ الصَّمْتِ لا يَقْرَأُ كَعادَتِهِ. وَبَدا أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا يُقْلِقُهُ. واعتادَ أَتِرْسُون سَماعَ هَذِهِ التَّقاريرِ الَّتي لا تَتَغَيَّرُ في مَضْمونِها مِمّا جَعَلَهُ يُقَلِّلُ تَدْريجيًّا مِنْ زِياراتِهِ.

ما حَدَثَ عِنْدَ النّافِذةِ

ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ الآحادِ كانَ أَتِرْسُون يَقومُ بِنُزْهَتِهِ المُعْتادةِ بِصُحْبَةِ إنْفِيلْد، وَمَرّا بالطَّريقِ الجانِبيِّ. وَعِنْدَما وَصَلا أَمامَ البابِ تَوَقَّفا وَأَخَذا يَنْظُرانِ إلَيْهِ.

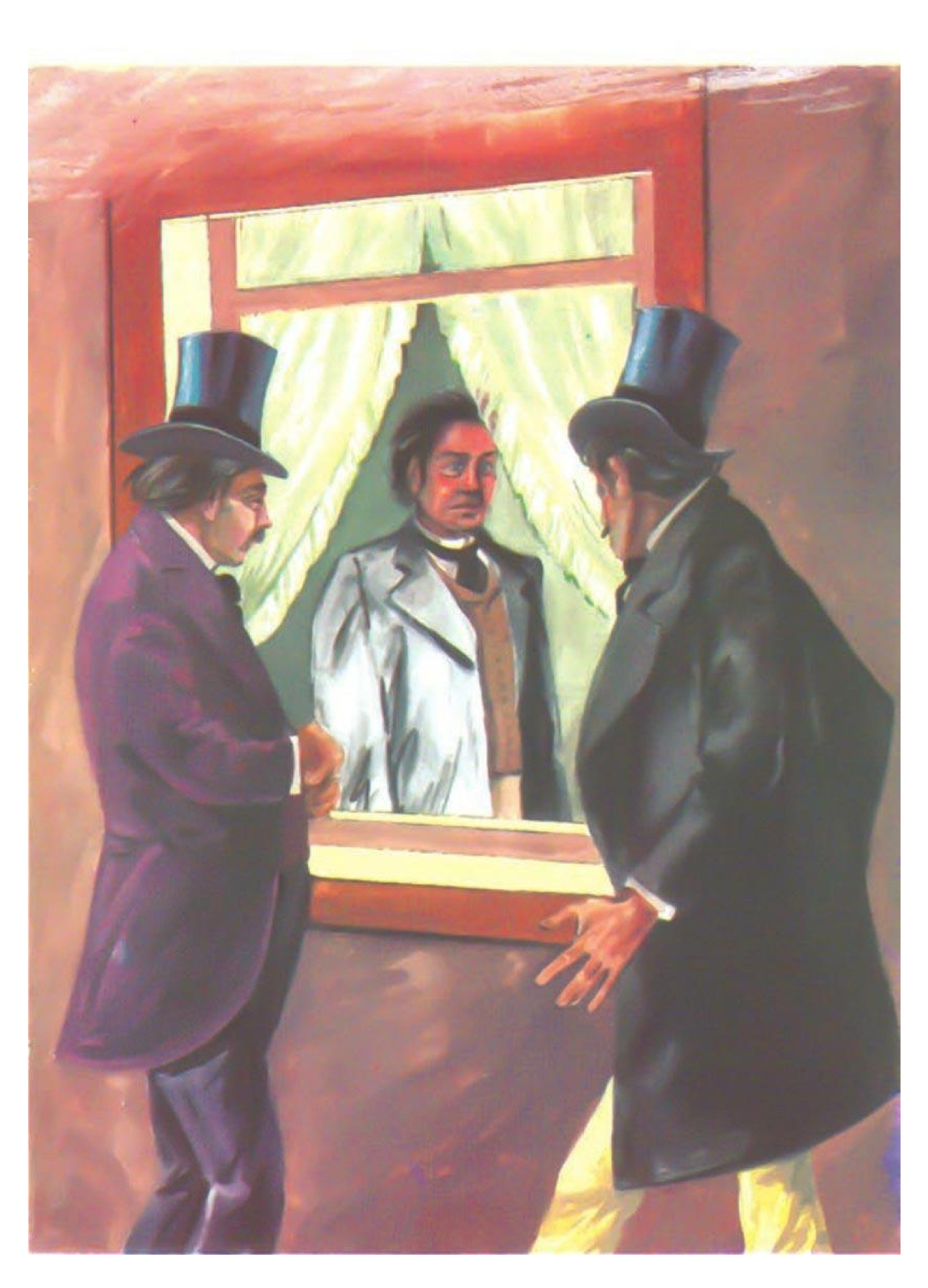
قالَ إنْفيلْد: «حَسَنٌ، لَقَدْ أُسْدِلَ السِّتارُ أَخيرًا عَلى تِلْكَ القِصَّةِ، وَلَنْ نَرى مِسْتَر هايد مَرَّةً أُخْرى.»

قالَ أَتِرْسُون «آمُلُ ذَلِكَ.. هَلْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّني رَأَيْتُهُ ذاتَ يَوْمٍ؟ لَقَدْ شَعَرْتُ بِما شَعَرْتَ أَنْتَ بِهِ مِنَ اشْمِئزازٍ.»

قالَ إنْفِيلْد: «مِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ تَراهُ دُونَ أَنْ يَنْتابَكَ الشُّعُورُ نَفْسُهُ. لا بُدَّ أَنَّكَ تَعَجَّبْتَ مِنْ غَبائي إذْ إنّي لَمْ أُدْرِكْ أَنَّ هَذا هُوَ الطَّريقُ الخَلْفيُّ المُؤَدّي إلى مَنْزِلِ الدُّكْتُور جِيكِل. إنَّكَ السَّبَبُ في اكتِشافي هَذا الطَّريقَ الخَلْفيَّ.»

قالَ أَتِرْسُون: «ما دُمْتَ قَدَ اكْتَشَفْتَ ذَلِكَ فَهَيّا بِنا نَدْخُلُ الفِناءَ وَنُلْقي نَظْرَةً عَلى نَوافِذِ المَبْنَى، فَالقَلَقُ في الحَقيقةِ يُساوِرُني بِشَأْنِ جِيكِلِ المِسْكينِ. وَأَشْعُرُ أَنَّ وُجُودَ صَديقٍ لَهُ، حَتَّى وَإنْ كانَ خارِجَ المَنْزِل، سَيَكُونُ في مَصْلَحَتِهِ.»

كانَ الفِناءُ بارِدًا وَرَطْبًا بَعْضَ الشَّيءِ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّماءَ كانَتْ صافيةً تَتَلألأ فيها شَمْسُ الغُروبِ. وَكانَتِ النّافِذةُ الوُسْطى نِصْفَ مَفْتوحةٍ



وَيَجْلِسُ بِجِوارِها دُكْتُور جِيكِل، وَقَدْ بَدا مِثْلَ سَجينٍ أَخَذَ بِهِ الحُزْنُ كُلَّ مَأْخَذٍ.

قالَ لَهُ أَتِرْسُون صائِحًا: «أَيْ جِيكِل، إِنَّني واثِقٌ أَنَّكَ بِخَيْرٍ.»

أَجابَهُ الطَّبيبُ بِفُتورٍ: «أَنا في حالَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغايَةِ يا أَتِرْسُون.. سَيِّئَةٍ لِلْغايَةِ، وَلَكِنْ لَنْ يَطولَ بي هَذا الحالُ والحَمْدُ للهِ.»

قالَ لَهُ المُحامي: «إِنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ البَقاءِ داخِلَ البَيْتِ، عَلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ وَتَتَنَزَّهَ كَما أَفْعَلُ أَنا وَإِنْفِيلْد. هَذا هُوَ مِسْتَر إِنْفِيلْد قَريبي يا دُكْتُور جِيكِل. تَعالَ مَعَنا الآنَ. اِلبَسْ قُبَّعَتَكَ وَلْنَتَنَزَّهْ مَعًا.»

تَنَهَّدَ الطَّبيبُ وَقالَ: «إِنَّكَ طَيِّبُ القَلْبِ لِلْغايَةِ. كَمْ كانَ بِوُدّي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لا، لا، لا! هَذا مُسْتَحيلٌ! لَسْتُ أَجْرُؤُ عَلى ذَلِكَ. وَلَكِنْ في الحَقيقَةِ يا أَتِرْسُون أَنا سَعيدٌ كُلَّ السَّعادَةِ بِرُؤْيَتِكَ، إِنَّ سُروري بِرُؤْيَتِكَ كَبيرٌ. وَكانَ بِوُدّي أَنْ أَدْعُوَكَ وَمِسْتَر إِنْفيلْد لِلدُّخولِ لَكِنَّ المَكانَ غَيْرُ مُناسِبٍ.»

رَدَّ عَلَيْهِ المُحامي بِرَحابَةِ صَدْرٍ قائِلًا: «إِذًا فَخَيْرُ ما يُمْكِنُ عَمَلُهُ هُوَ أَنْ نَبْقى هُنا وَنَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ.»

قالَ الطَّبيبُ مُبْتَسِمًا: «هذا ما كُنْتُ أوشِكُ أَنْ أَقْتَرِحَهُ.» وَلَكِنْ ما كادَتِ الكَلِماتُ تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ حَتّى اختَفَتِ البَسْمَةُ وَبَدَتْ مَلامِحُ فَزَعٍ وَيَأْسٍ عَنيفَيْنِ ارتَعَدَ لها أَتِرْسُون وَزَميلُهُ. وَلَكِنَّهُما لَمْ يَرَيا هَذِهِ المَلامِحَ إِلّا لِلَحْظَةٍ

واحِدةٍ، إذْ سَرْعانَ ما أُغْلِقَتِ النّافِذةُ فَقَفَلا راجِعَيْنِ وغادَرا الفِناءَ دُونَ أَنْ يَتَفَوَّها بِكَلِمةٍ واحِدةٍ. وَسارا صامِتَيْنِ عَبْرَ الشّارِعِ الفَرْعيِّ وَلم يَتَبادَلا النَّظَرَ إلّا بَعْدَ أَنْ وصَلا إلى الشَّارِعِ المُجاوِرِ حَيْثُ كانَتِ الحَياةُ تَدُبُّ حَتَّى في أَيّامِ الآحادِ. لَقَدْ شَحَبَ وَجْهاهُما، وَكانَتْ أَعْيُنُهُما تُعَبِّرُ عَنْ فَزَعٍ شَديدٍ.

قالَ أَتِرْسُون: «سامَحَنا اللهُ، سامَحَنا اللهُ.»

أَمّا إنْفِيلْد فَقَدْ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ، وَواصَلَ سَيْرَهُ صامِتًا.

اللَّيْلَةُ الأَخيرةُ

كانَ أَتِرْسُون جالِسًا بِجوارِ المِدْفأَةِ ذاتَ لَيْلةٍ عِنْدَما جاءَ بُوول لِزيارَتِهِ مِمّا أَثارَ دَهْشَتَهُ فَصاحَ قائِلًا: «ما الَّذي جاءَ بِكَ يا بُوول؟ ماذا وَراءَكَ؟ هَلِ الطَّبيبُ مَريضٌ؟»

أَجابَهُ بُوول: «إنَّ بِالأَمْرِ شَيْئًا يا سيِّدُ أَتِرْسُون.»

فَقالَ لَهُ المُحامي: «تَفَضَّلْ بِالجُلوسِ وَاشرَبْ هَذِهِ الكَأْسَ مِنَ العَصيرِ. والآنَ قُلْ لي بِوُضوحٍ ما تُريدُ أَنْ تَقولَ، وَلا تَتَعَجَّلْ فلَيْسَ هُناكَ ما يَدْعو إلى العَجَلةِ.»

قالَ بُوول: «أَنْتَ تَعْرِفُ عاداتِ الدُّكْتُور يا سَيِّدي، وَكَيْفَ يُغْلِقُ البابَ عَلَيْهِ وَيَظَلُّ حَبيسَ غُرْفَتِهِ. حَبَسَ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرى في المَعْمَلِ، وَهَذا أَمْرٌ لا أَرْتاحُ لَهُ. إنَّني خائِفٌ يا سَيِّدُ أَتِرْسُون.»

قالَ المُحامي: «أَيُّها الرَّجُلُ الطَّيِّبُ، قُلْ لي بِوُضوحٍ ما الَّذي يُخيفُكَ؟»

رَدَّ بُوول قائِلًا: «لَقَدِ اعتَراني الخَوْفُ مُنْذُ حوالَي أُسْبوعٍ، وَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَبْقى عَلى هَذا الوَضْعِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.»

وَكانَتْ مَلامِحُ الرَّجُلِ تُعَبِّرُ بِوُضوحٍ عَنْ مَشاعِرِهِ تِلْكَ، إذِ ازدادَ قَلَقُهُ وَارتِباكُهُ وَلَمْ يَنْظُرْ في وَجْهِ أَتِرْسُون إلّا عِنْدَما أَعْلَنَ عَنْ مَشاعِرِ الفَزَعِ الَّتي

كانَ يُحِسُّ بِها. وَظَلَّ جالِسًا، وَفي يَدِهِ كَأْسُ العَصيرِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْها رَشْفةً واحِدةً، وَهُوَ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى رُكْنِ الغُرْفةِ مُرَدِّدًا قَوْلَهُ: «لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَحْتَمِلَ هَذا الوَضْعَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.»

قالَ لَهُ المُحامي: «هَوِّنْ عَلَيْكَ يا بُوول. إنيِّ أَرى أَنَّكَ عَلى صَوابٍ، وَأَنَّ هُناكَ خَطَأً جَسيمًا. حاوِلْ أَنْ تُخْبِرَني بِهِ.»

قالَ بُوول بِصَوْتٍ يَخْنُقُهُ الخَوْفُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ جَريمةَ قَتْلٍ.»

صاحَ المُحامي وَقَدْ زادَ قَلَقُهُ وَغَضَبُهُ: «جَريمةُ قَتْلٍ؟ أَيُّ جَريمةِ قَتْلٍ؟ ماذا تَعْني أَيُّها الرَّجُلُ؟»

فَأَجابَهُ قائِلًا: «لَيْسَ في إمْكاني أَنْ أُوَضِّحَ لَكَ، وَلَكِنْ هَلّا جِئْتَ مَعي لِتَرى بِنَفْسِكَ؟»

كان رَدُّ مِسْتَر أَتِرْسُون عَلى ذَلِكَ الإسْراعَ بِالنُّهوضِ وارتِداءَهُ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ. ولاحَظَ وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلاماتِ ارتياحٍ ظَهَرَتْ عَلى وَجْهِ بُوول إذْ وَضَعَ كَأْسَ العَصيرِ الَّتي لَمْ يَشْرَبْ مِنْها شَيْئًا وَأَسْرَعَ وَراءَهُ.

عِنْدَما وَصَلا إلى البَيْتِ كانَ الجَوُّ عاصِفًا مَليئًا بِالغُبارِ، وَهُنا تَوَقَّفَ بُوول – الَّذي كانَ يسْبِقُ أَتِرْسُون بِخُطْوةٍ أَوْ خُطْوَتَيْنِ – وَخَلَعَ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ بِرَغْمِ الجَوِّ القارِسِ، وَأَخَذَ يُجَفِّفُ جَبْهَتَهُ بِمِنْديلٍ أَحْمَرَ. وَكانَ وَجْهُهُ شاحِبًا، وَصَوْتُهُ أَجَشَّ مُضْطَرِبًا. قالَ: «ها نَحْنُ أُولاءِ قَدْ وَصَلْنا يا سَيِّدي. أَسْأَلُ الله أَلّا يَكونَ قَدْ وَقَعَ مَكْروهٌ.»

قالَ المُحامي: «أَتَمَنّى ذَلِكَ يا بُوول.»

عِنْدَئِذٍ طَرَقَ الخادِمُ البابَ في حَذَرٍ، فانَفَتَحَ جُزْءٌ مِنْهُ، وَجاءَ صَوْتٌ مِنَ الدّاخِلِ يَسْأَلُ: «أَهَذا أَنْتَ يا بُوول؟»

أَجابَ بُوول: «نَعَمْ أَنا، كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ. اِفتَحوا البابَ.»

كانَتِ القاعةُ عِنْدَما دَخَلَها أَتِرْسُون وَبُوول مُضاءةً بِمَصابيحَ ساطِعةٍ وَكانَتْ نارُ المِدْفأَةِ مُتَوَهِّجةً، وَتَجَمَّعَ حَوْلَها كُلُّ خَدَمِ البَيْتِ. وَعِنْدَما رَأَتْ إِحْدى الخادِماتِ أَتِرْسُون انَفَجَرَتْ في بُكاءٍ شَديدٍ، وَصاحَتِ الطّاهيةُ قائِلةً: «الحَمْدُ لله! إِنَّهُ السَّيِّدُ أَتِرْسُون.» ثَمَّ اندَفَعَتْ نَحْوَهُ وَكَأَنَّما تُريدُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ لِيَحْمِيَها مِنْ مَكْروهٍ.

قالَ لَهُمْ أَتِرْسُون: «ما هَذا؟ هَلْ أَنْتُمْ هُنا؟ هَذا شْيءٌ غَريبٌ جِدًّا، وَغَيْرُ لائِق. سَوْفَ يَسْتاءُ سَيِّدُكُمْ لِذَلِكَ.»

قال بُوول: «إِنَّهُمْ جَميعًا خائِفونَ.» وَأَعْقَبَ ذَلِكَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ خَوْفَهُ، أَوْ يَقُلْ شَيْئًا بِاستِثْناءِ الخادِمةِ الَّتي واصَلَتْ بُكاءَها بِصَوْتٍ عالٍ.

فَقالَ لَها بُوول في صَوْتٍ غاضِبٍ يَنُمُّ عَنْ قَلَقِهِ: «اُصمُتي أَيَّتُها الفَتاةُ.» وَالحَقيقةُ أَنَّهُ عِنْدَما بَدَأَتِ الفَتاةُ بُكاءَها، انْتَفضوا فَزَعًا، وَاتَّجَهوا نَحْوَ البابِ الدّاخِليِّ وَعَلَى وُجوهِهِمْ عَلاماتُ الفَزَعِ. ثُمَّ اتَّجَهَ بُوول نَحْوَ مُساعِدِ الطَّبّاخِ قائِلًا: «أَحْضِرْ لي شَمْعةً، وَلْنَحْسِمِ الأَمْرَ عَلى الفَوْرِ.» ثُمَّ سَأَلَ أَتِرْسُون أَنْ يَتْبَعَهُ، وَسارَ أَمامَهُ إِلى الحَديقةِ الدّاخِلِيَّةِ. وَعِنْدَما اقتَرَبا مِنَ المَعْمَلِ قالَ: «الآنَ يا سَيِّدي أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَقْتَرِبَ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ أَيَّ

صوْتٍ، وَأَنْ تَسْمَعَ دُونَ أَنْ تُسْمَعَ. وإذا حَدَثَ وَطُلِبَ مِنْكَ أَنْ تَدْخُلَ فَلا تَدْخُلْ.»

كادَ أَتِرْسُون أَنْ يَفْقِدَ تَماسُكَهُ، وَلَكِنْ سَرْعانَ ما استَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وَتَبعَ بُوول إلى السُّلَّمِ المُؤَدِّي لِلْمَعْمَلِ. وَهُناكَ أَشارَ إِلَيْهِ بُوول أَنْ يَقِفَ إلى جانِبِ السُّلَّمِ وَيَسْتَمِعَ إلى ما يَدورُ مِنْ حَديثٍ. أَمّا هُوَ فَقَدْ وَضَعَ الشَّمْعَةَ وَصَعِدَ السُّلَّمَ ثُمَّ طَرَقَ البابَ بِيَدٍ مُرْتَعِشَةٍ قائلًا: «إنَّ السَّيِّدَ أَتِرْسُون يُريدُ أَنْ يَراكَ يا سَيِّدي.» وَكانَ أَثْناءَ كَلامِهِ يُشيرُ بِحِدَّةٍ إلى أَتِرْسُون أَنْ يُرْهِفَ السَّمْعَ.

جاءَ صَوْتٌ مِنَ الدّاخِلِ يَقولُ: «قُلْ لَهُ لَنْ يُمْكِنَني أَنْ أَرى أَحَدًا.» وَكانَتْ نَبَراتُ الصَّوْتِ تَنُمُّ عَنِ الحُزْنِ الشَّديدِ.

فَقالَ بُوول بِنَبْرَةِ المُنْتَصِرِ: «شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدي.» ثُمَّ أَخَذَ الشَّمْعَةَ وَقَفَلَ راجِعًا عَبْرَ الفِناءِ إلى المَطْبَخِ الكَبيرِ، حَيْثُ كانَتِ النّارُ قَدِ انطَفَأَتْ، وَأَخَذَتْ بَعْضُ الخَنافِسِ تَدِبُّ عَلى الأَرْضِ.

قالَ بُوول وَهُوَ يَنْظُرُ في عَيْنَيْ أَتِرْسُون: «سَيِّدي، هَلْ كانَ هَذا صَوْتَ الدُّكْتُور؟»

أَجابَهُ المُحامي: «يَبْدو أَنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ كَثيرًا.» وَكانَ المُحامي شاحِبَ الوَجْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ في عَيْنَيْ بُوول.

قالَ بُوول: «تَقولُ إنَّهُ تَغَيَّرَ؟ حَسَنٌ! هَلْ تَظُنُّ يا سَيِّدي أَنَّهُ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُمَيِّزَ صَوْتَ الرَّجُلِ الذي خَدَمْتُهُ عِشْرينَ سَنَةً؟ لا يا سَيِّدي. لَقَدْ قُضِيَ

عَلى سَيِّدي. لَقَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ مُنْذُ ثَمانيةِ أيّام عِنْدَما سَمِعْناهُ يَصيحُ وَيَسْتَغيثُ بِالله. وَلا يَعْرِفُ إِلّا اللهُ مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ القابِعُ داخِلَ المَعْمَلِ بَدَلًا مِنْ سَيِّدي ولماذا يَبْقى هناكَ.»

قالَ لَهُ أَتِرْسُون وَهُوَ يَعَضُّ إِصْبَعَهُ: «هذا اتِّهامٌ غَريبٌ وخَطيرٌ يا بُول! لِنَفْرِضْ أَنَّ الأَمْرَ كما تَظُنُّ، وَلْنَفْرِضْ أَنَّ الدُّكْتُور جيكِل قَدْ قُتِلَ، فَما الَّذي يُغْري القاتِلَ بِالبَقاءِ؟ إنَّ الافتِراضَ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ. إِنَّهُ لا يُعْقَلُ.»

رَدَّ عَلَيْهِ بُول قائِلًا: «حَسَنٌ يا سَيِّدُ أَتِرْسُون، سَوْفَ أُقْنِعُكَ عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ إِقْناعُكَ. فلتَعْلَمْ يا سَيِّدي أَنَّهُ طَوالَ الأَسْبوعِ الماضي، كانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَوْ ذَلِكَ الكائِنُ الَّذي يَعيشُ في المَعْمَلِ يَصيحُ في اللَّيْلِ وَفي النَّهارِ طالِبًا نَوعًا مِنَ العَقّارِ دُونَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ. لَقَدِ اعتادَ سَيِّدي في بَعْضِ الأَحْيانِ أَنْ يَكْتُبَ لنا أَوامِرَهُ وَيُلْقِيَ بالوَرَقةِ عَلى السُّلَّم. وَطَوالَ الأُسْبوعِ الماضي لَمْ نَحْصُلْ مِنْهُ إلّا عَلى أَوْراقٍ مِنْ هذا النَّوْعِ دُونَ أَن يَفْتَحَ البابَ. وَكانَتْ وَجَباتُ الطَّعامِ تُتْرَكُ بِالخارِجِ ثُمَّ تُؤْخَذُ إلى الدّاخِلِ خِلْسةً دُون أَنْ يَرى ذَلِكَ أَحَدٌ. نَعَمْ يا سَيِّدي، لَقَدْ كانَت هُناكَ أَوامِرُ مِنْ هذا النَّوْعِ كلَّ يَوْمٍ، بَلْ في بَعْضِ الأَحيانِ كانَتْ تِلْكَ الأَوامِرُ تَصْدُرُ مَرَّتَيْنِ وثلاثَ مَرّاتٍ في اليَوْم الواحِدِ، وَكُنْتُ أُسْرِعُ بِها إلى كافَّةِ صَيْدَلِيّاتِ المَدينةِ. كُنْتُ كُلَّما أَحْضَرْتُ العَقّارَ المَطْلوبَ كانَتْ تَصْدُرُ الأَوامِرُ بِإِرجاعِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَقِيٍّ، وَبِأَنْ أَذْهَبَ إلى جهةٍ أُخْرى لِشِرائِهِ. إنَّ الحاجةَ إلى هذا العَقّارِ مُلِحَّةٌ يا سَيِّدي وَلا أَدْري لِماذا.»



سَأَلَهُ المُحامي: «أَلَدَيْكَ إحْدى هَذِهِ الأَوْراقِ؟» فَبَحَثَ بُوول في جَيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ وَرَقةً وَأَعْطى المُحامي إيّاها، فَبَدَأَ في فَحْصِها بِعِنايةٍ على ضَوْءِ الشَّمْعةِ. وَكانَ بالوَرَقةِ ما يَلي:

«يَتَقَدَّمُ الدُّكْتُور جِيكِل بِتَحيَّتِهِ لِشَركةِ مو، وَيُؤَكِّدُ للشَّرِكةِ أَنَّ العَقّارَ الَّذي أَرْسَلَتْهُ لَهُ غَيْرُ نَقِيٍّ، وَلِهَذا فَلَيْسَتْ لَهُ أَيَّةُ فائِدةٍ. لَقَدِ اشتَرى الدُّكْتُور جِيكِل في سَنةِ – ١٨ كَمِّيَّةً كَبيرةً مِنْ هَذا العَقّارِ مِنْ شَرِكَتِكُمْ، وَهُوَ يَرْجُوكُمُ الآنَ أَنْ تَبْحَثوا بِكُلِّ عِنايةٍ عَنْ هَذا العَقّارِ النَّقِيِّ، وإذا وَجَدْتُمْ أَيَّةَ كَمِّيَّةٍ مِنْهُ فَلْتُرْسِلُوها إِلَيْهِ عَلى الفَوْرِ مَهْما كان ثَمَنُها. إنَّ هَذا العَقّارَ ذو أَهَمِّيَّةٍ بالِغةٍ لِلدُّكْتُور جِيكِل.»

وَإلى هُنا كانَتْ لَهْجةُ الخِطابِ مَعْقولةً ولكِنْ أَعْقَبَتْ ذَلِكَ بُقْعةُ حِبْرٍ، وَانطَلَقَتْ مَشاعِرُ الكاتِبِ ليقولَ: «باللهِ عَلَيْكُم، ابحَثوا لي عَنْ شَيْءٍ مِنَ العَقّار القَديم.»

قالَ أَتِرْسُون: «هَذِهِ رِسالةٌ غَرِيبةٌ.» ثُمَّ سَأَلَهُ بِحِدَّةٍ: «كَيْفَ حَصَلْتَ عَلَيْها مَفْتوحةً؟»

فأَجابَهُ بُوول: «لَقَدْ غَضِبَ المَسْئولُ في شَرِكةِ مُو عِنْدَ قِراءَتِها وَأَلْقاها ثانيةً إِلَيَّ كَما يُلْقي شَيْئًا قَذِرًا.»

فَسَأَلَهُ المُحامي: «هَلْ تَشُكُّ في أَنَّ هَذا خَطُّ الطَّبيبِ؟»

فَقالَ الخادِمُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُشْبِهُهُ. وَلَكِنْ ما قيمةُ الخَطِّ – لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ.»

فَقالَ أَتِرْسون: «رَأَيْتَهُ؟ قُلْ لي كَيْفَ؟»

فَأَجابَ بُوول: «كانَ ذَلِكَ عَلى النَّحْوِ الآتي: دَخَلْتُ المَعْمَلَ فَجْأَةً مِنَ الحَديقَةِ. وَيَبْدو أَنَّهُ كانَ قَدْ تَسَلَّلَ إلى الخارِجِ باحِثًا عَنْ هَذا العَقّارِ، أَوْ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، لِأَنَّ بابَ غُرْفَتِهِ كانَ مَفْتوحًا، وَرَأَيْتُهُ في أَقْصى رُكْنٍ يُقَلِّبُ في الصَّناديقِ وَيَبْحَثُ فيها، وَرَفَعَ نَظَرَهُ عِنْدَما دَخَلْتُ ثُمَّ أَطْلَقَ صَيْحَةً غَريبةً، وَاندفَعَ على السُّلَّمِ وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ. لَقَدْ رَأَيْتُهُ لِمُدَّةٍ دَقيقةٍ واحِدةٍ، وَكانَ مَنْظَرُهُ فَظيعًا اقْشَعَرَّ لَهُ بَدَني. إذا كانَ هَذا هُوَ سَيِّدي فَلِماذا كانَ يَضَعُ قِناعًا عَلى وَجْهِهِ؟ إذا كانَ سَيِّدي فَلماذا أَطْلَقَ تِلْكَ الصَّيْحةَ عِنْدَما رَآني، وَفَرَّ هارِبًا مِنّي كالفَأْرِ المَذْعورِ؟ لَقَدْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ وَمَعَ ذَلِكَ...» ثُمَّ تَوَقَّفَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بيَدِهِ.

قالَ مِسْتَر أَتِرْسُون: «هَذِهِ مُلابَساتٌ غَريبةٌ، وَلَكِنْ أَظُنُّ أَنَّ الأُمورَ قَدْ بَدَأَتْ تَتَّضِحُ لي. مِنَ الواضِحِ يا بُوول أَنَّ سَيِّدَكَ قَدْ أُصيبَ بِأَحَدِ هَذِهِ الأَمْراضِ الَّتي تُؤْلِمُ وتُشَوِّهُ المُصابَ بِها. وَرُبَّما كانَ ذَلِكَ سَبَبَ ما حَدَثَ مِنْ تَغَيُّرٍ في صَوْتِهِ وَمِنْ وَضْعِ القِناعِ عَلى وَجْهِهِ، وَتَجَنُّبِ لِقاءِ أَصْدِقائِهِ. وَهَذا أَيْضًا سَبَبُ تَلَهُّفِهِ عَلى ذَلِكَ الدَّواءِ الَّذي يَأْمُلُ المِسْكينُ عَنْ طَريقِهِ أَنْ يُحَقِّقَ الشِّفاءَ. أَسْأَلُ اللهَ أَلّا يُخَيِّبَ ظَنَّهُ – هَذا هُوَ رَأْيي. وَالأَمْرُ مُحْزِنٌ لِلْغايةِ يا بُوول وَفَظيعٌ حينَ تُفَكِّرُ فيهِ. وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ بَسيطٌ وَطَبيعيٌّ وَيُفَسِّرُ لنا ما حَدَثَ، كَما يُغْنينا عَنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِنا المَخاوِفُ وَالأَوْهامُ.»

قالَ بُوول وَقَدِ ازدادَ وَجْهُهُ اصفِرارًا: «يا سَيِّدي، إنَّ الحَقيقةَ أَنَّ ذَلِكَ

الكائِنَ القابعَ بالمَعْمَلِ لَيْسَ سَيِّدي. إنَّ سَيِّدي...» وَهُنا نظَرَ بُوول حَوْلَهُ وَبَدَأَ يَهْمِسُ قائِلًا: «رَجُلٌ طَويلُ القامةِ، أَمّا هَذا فَقَدْ كانَ أَقْرَبَ إلى الأَقْزامِ.»

حاوَلَ أَتِرْسُون مُقاطَعَتَهُ، وَلَكِنَّ بُوول صاحَ قائِلًا: «هَلْ تَظُنُّ يا سَيِّدَ أَتِرْسُون أَنّي لا أَعْرِفُ سَيِّدي بَعْدَ أَنْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ عِشْرينَ سَنةً؟ هَلْ تَظُنُّ أَنّي لا أَعْرِفُ طُولَ قامَتِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَراهُ كُلَّ صَباحٍ طَوالَ حَياتي؟ لا يا سَيِّدي! إنَّ ذَلِكَ الكائِنَ الَّذي يَرْتَدي القِناعَ لَيْسَ الدُّكْتُور جِيكِل إطْلاقًا. إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ الدُّكْتُور جِيكِل أَبَدًا. وَإنّي أَعْتَقِدُ بِكُلِّ وِجْداني أَنَّ جَريمةَ قَتْلٍ قَدْ حَدَثَتْ.»

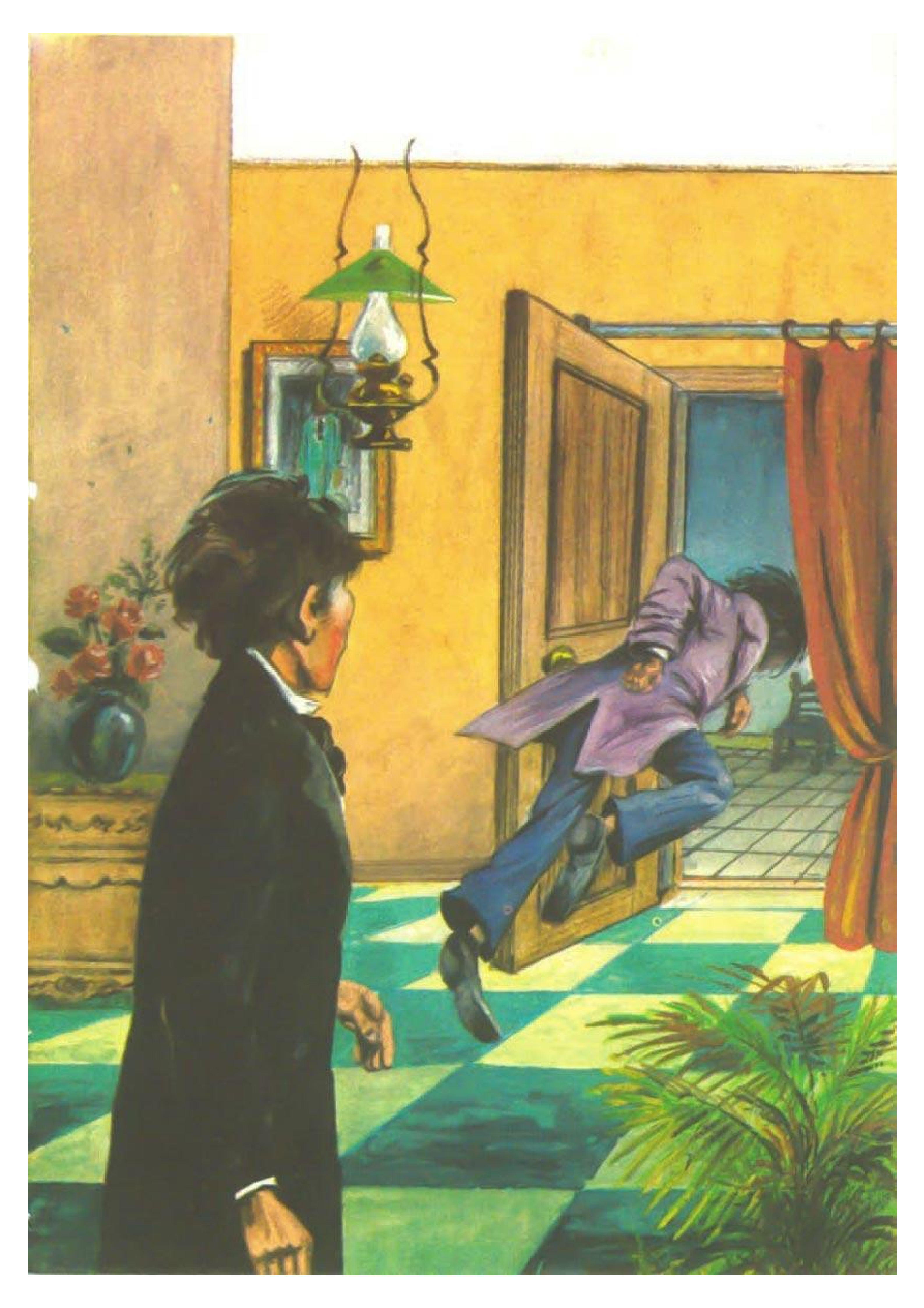
أَجابَهُ المُحامي قائِلًا: «يا بُوول! إذا كُنْتَ مُصِرًّا عَلى هَذا القَوْلِ فَمِنْ واجِبي أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهِ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنّي أُحِبُّ أَنْ أُحافِظَ على مَشاعِرِ سَيِّدِكَ، وَمِنْ أَنَّ حَيْرَتي قَدِ ازْدادَتْ بَعْدَ قِراءةِ هَذِهِ الرِّسالةِ الَّتي تُفيدُ بِأَنَّهُ ما زالَ عَلى قَيْدِ الحَياةِ، إلّا أَنّي أَرى أَنْ نَقْتَحِمَ هَذا البابَ.»

فَصاحَ بُوول: «هَذا هُوَ القَوْلُ الصَّحيحُ.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ المُحامي: «وَالآنَ تُواجِهُنا مَسْأَلَةٌ ثانيةٌ: مَنِ الَّذي سَيَقومُ بِذَلِكَ؟»

أَجابَهُ بُوول بِشَجاعةٍ: «أَنا وَأَنْتَ يا سَيِّدي.»

قالَ المُحامي: «هَكَذا الشَّجاعةُ! وَمَهْما كانَتْ نَتيجةُ ذَلِكَ العَمَلِ فَسَيَكونُ مِنْ واجِبي أَنْ أُجَنِّبَكَ أَيَّ ضَرَرٍ قَدْ يَلْحَقُ بِكَ.»



قال بُول: «هُناك بَلْطةٌ بِالمَعْمَلِ، وَيُمْكِنُك أَنْ تُمْسِكَ بِهَذا القَضيبِ (السّيخِ) الحَديديِّ لِتَسْتَخْدِمَهُ عِنْدَ الحاجةِ.»

فَأَمْسَكَ المُحامي بِذَلِكَ السِّلاحِ البُدائيِّ، وَأَخَذَ يَزِنُهُ وَيُحَرِّكُهُ ثُمَّ قالَ: «أَتَعْرِفُ يا بُول أَنَّنا نُوشِكُ أَنْ نَضَعَ نَفْسَيْنا في مَوْقِفٍ فيهِ بَعْضُ الخُطورةِ؟»

فَقالَ بُول: «هَذا احتِمالٌ قائِمٌ يا سَيِّدي.»

قالَ المُحامي: «لِهَذا فَمِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَكُونَ صُرحاءَ. نَحْنُ الاثْنَيْنِ لَدَيْنا مِنَ الأَفْكارِ ما لَمْ نُعْلِنْهُ. فَلْيَقُلْ كُلٌّ مِنّا ما عِنْدَهُ. ماذا عَنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ المُقَنَّعِ الَّذي رَأَيْتَهُ – هَلْ عَرَفْتَ مَنْ هُوَ؟»

أَجابَ بُول: «في الحَقيقةِ يا سَيِّدي أَنَّهُ انصَرَفَ بِسُرْعةٍ كَبيرةٍ، وَكانَ قَبْلَ انصِرافِهِ مُنْحَنِيًا يَبْحَثُ في الصَّناديقِ مِمّا جَعَلَني لا أَتَبَيَّنُهُ. وَلَكِنْ إذا كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ مِسْتَر هايِد فَإِنّي أُوافِقُكَ. إنّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِسْتَر هايِد. فَقَدْ كانَ لَهُ نَفْسُ القَوامِ، وَنَفْسُ الحَرَكةِ الخَفيفةِ؛ وَعِلاوةً عَلى ذَلِكَ فَمَنْ غَيْرُهُ قادرٌ عَلى دُخولِ المَنْزِلِ عَنْ طَريقِ بابِ المَعْمَلِ. هَلْ نَسيتَ يا سَيِّدي أَنَّ مِفْتاحَ المَعْمَلِ كانَ مَعَهُ عِنْدَ وُقوعِ حادِثةِ الاغْتيالِ؟ وَلَكِنْ لَيْسَ هذا هُوَ كُلُّ ما عِنْدي. أَنا لا أَعْرِفُ يا سَيِّدُ أَتِرْسُون هَلْ قابَلْتَ مِسْتَر هايِد هَذا؟»

أَجابَ المُحامي: «نَعَمْ، لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَهُ ذاتَ مَرَّةٍ.»

قالَ بُول: «إذًا لا بُدَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ كَما نَعْرِفُ جَميعًا أَنَّ بِالرَّجُلِ شَيْئًا

غَريبًا – شَيْئًا يَصْدِمُكَ. أَنا لا أَعْرِفُ كَيْفَ أَصِفُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أقولَ إِنَّكَ تُحِسُّ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ بِقُشَعْريرةٍ تَسْري في جَسَدِكَ.»

قالَ أَتِرْسُون: «أَعْتَرِفُ بأَنّي أَحْسَسْتُ بِشَيْءٍ مِنْ هذا الَّذي تَصِفُهُ.»

قالَ بُوول: «هَذا صَحيحٌ يا سَيِّدي، فَعِنْدَما قَفَزَ ذَلِكَ الكائِنُ المُقَنَّعُ مِنْ بَيْنِ صَناديقِ الكيماوِيّاتِ، وَاندَفَعَ كَالقِرْدِ لِيَدْخُلَ الحُجْرةَ سَرَتْ تِلْكَ القُشَعْريرةُ بارِدةً كَالثَّلْجِ في عِظامي. أَنا أَعْرِفُ أَنَّ هذا لَيْسَ دَليلًا كافيًا يا سَيِّدُ أَتِرْسُون، فَلَدَيَّ مِنَ المَعْلُوماتِ القانُونيَّةِ ما يَجْعَلُني أَعْرِفُ ذلِكَ. وَلَكِنْ لِلإِنْسانِ مَشاعِرُهُ، وَأَنا أُقْسِمُ لَكَ أَنَّهُ مِسْتَر هايد.»

فَقالَ المُحامي: «إِنَّ مَخاوِفي تَأْخُذُ الاتِّجاهَ نَفْسَهُ. تِلْكَ العَلاقةُ الَّتي قامَتْ عَلى الشَّرِّ لَنْ تُنْتِجَ إِلّا شَرًّا. نَعَمْ، في الحَقيقةِ أَنا أُصَدِّقُكَ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هِنْري المِسْكينَ قَدْ قُتِلَ، وَأَنَّ قاتِلَهُ ما زالَ مُخْتَبِئًا في غُرْفَتِهِ، وَلا يَعْلَمُ إِلا اللهُ سَبَبَ اختِفائِهِ فيها. وَمِنَ الواجِبِ عَلَيْنا أَنْ نُمْسِكَ بِهِ. نادِ براِدْشُو.»

جاءَ الخادِمُ براِدْشُو مُلَبِّيًا النِّداءَ، وَكانَ شاحِبَ الوَجْهِ يَرْتَعِدُ مِنَ الخَوْفِ.

فَقالَ لَهُ المُحامي: «تَمالَكْ نَفْسَكَ يا براِدْشُو. أَنا أَعْرِفُ أَنَّ هَذا الانتِظارَ قَدْ نَهَكَ أَعْصابَكُمْ، وَلَكِنَّنا نُريدُ الآنَ أَنْ نَضَعَ حَدًّا لَهُ. سَنَقومُ أَنا وَبُوول باقْتِحامِ هَذِهِ الغُرْفةِ. وَإِذا سارَ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ فَسَوْفَ أَتَحَمَّلُ أَنا مَسْئوليَّةَ هَذا العَمَلِ. وَلَكِنْ عَلَيْنا أَنْ نَحْتَرِسَ خَشْيةَ أَنْ يَحْدُثَ خَطَأٌ، أَوْ يُحاول المُجْرِمُ الهَرَبَ مِنَ البابِ الخَلْفيِّ. لِهَذا فَعَلَيْكَ أَنْتَ والصَّبيُّ أَنْ تَذْهَبا إِلى الخَلْفِ،

وَتَتَّخِذا لَكُما مَوْقِعًا عِنْدَ البابِ الخَلْفيِّ لِلْمَعْمَلِ وَمَعَ كُلٍّ مِنْكُما عَصًا غَليظةٌ. وَلَدَيْكُما عَشْرُ دَقائِقَ لِتَذْهَبا إلى هُناكَ.»

وَنَظَرَ المُحامي في ساعَتِهِ عِنْدَ انصِرافِ برادْشُو ثُمَّ قالَ: «وَالآنَ فَلْنَذْهَبْ نَحْنُ إلى مَوْقِعِنا يا بُوول.» وَأَخَذَ القَضيبَ الحَديديَّ تَحْتَ إبطِهِ، ثُمَّ سارَ أَمامَ بُوول مُتَّجِهًا نَحْوَ المَعْمَلِ عَبْرَ الفِناءِ. وَلَمّا وَصَلا إلى هُناكَ جَلَسا صامِتَيْنِ يَنْتَظِرانِ. وَكانَ ضَجيجُ لَنْدَن يَصِلُ خافِتًا مِنْ حَوْلِهِما، وَلا يَقْطَعُهُ إلّا وَقْعُ أَقْدامٍ تَسيرُ جَيْئَةً وَذَهابًا داخِلَ غُرْفَةِ المَعْمَلِ.

فَهَمَسَ بُوول: «هَكَذا سَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ الأَقْدامُ في السَّيْرِ طَوالَ النَّهارِ، وَالجُزْءَ الأَكْبَرَ مِنَ اللَّيْلِ. وَلَنْ تَتَوَقَّفَ إلّا عِنْدَما يَصِلُ عَقّارٌ جَديدٌ مِنَ الصَّيْدَليِّ. إنَّهُ الضَّميرُ القَلِقُ الَّذي لا يَسْتَريحُ. آه يا سَيِّدي، إنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ مِنْ هَذِهِ الخُطُواتِ مُلَطَّخةٌ بِالدِّماءِ، وَلَكِنِ استَمِعْ جَيِّدًا وَقُلْ لي يا سَيِّدُ أَتِرْسُون: هَلْ هَذا هُوَ وَقْعُ أَقْدامِ الدُّكْتُور جيكِل؟»

كانَ وَقْعُ الأَقْدامِ خَفيفًا وَغَريبًا، وَكَأَنَّهُ وَقْعُ أَقْدامِ شَخْصٍ أَعْرَجَ يَسيرُ بِبُطْءٍ. وَلِهَذا فَقَدْ كانَ يَخْتَلِفُ دُونَ شَكٍّ عَنْ وَقْعِ أَقْدامِ الدُّكْتُور جيكِل الَّذي كانَ وَقْعًا ثَقيلًا صاخِبًا.

تَنَهَّدَ أَتِرْسُون وَسَأَلَ بُوول: «هَلْ عِنْدَكَ دَليلٌ آخَرُ؟»

أَوْمَأَ بُوول بِالإيجابِ وَقالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُهُ ذاتَ مَرَّةٍ يَبْكي.»

فَقالَ المُحامي: «يَبْكي؟ كَيْفَ كانَ ذَلِكَ؟» وَأَحَسَّ بِقُشَعْريرةٍ بارِدةٍ تَسْري في جِسْمِهِ.

فَرَدّ عَلَيْهِ بُوول: «يَبْكي كَأَنَّهُ امرأَةٌ، أَوْ كَأَنَّهُ شَخْصٌ ضَلَّ طَريقَهُ في الحَياةِ. لَقَدْ كانَ هَذا شُعوري عِنْدَما سَمِعْتُهُ يَبْكي، وَأَوْشَكْتُ أَنْ أَبْكِيَ أَنا أَيْضًا.»

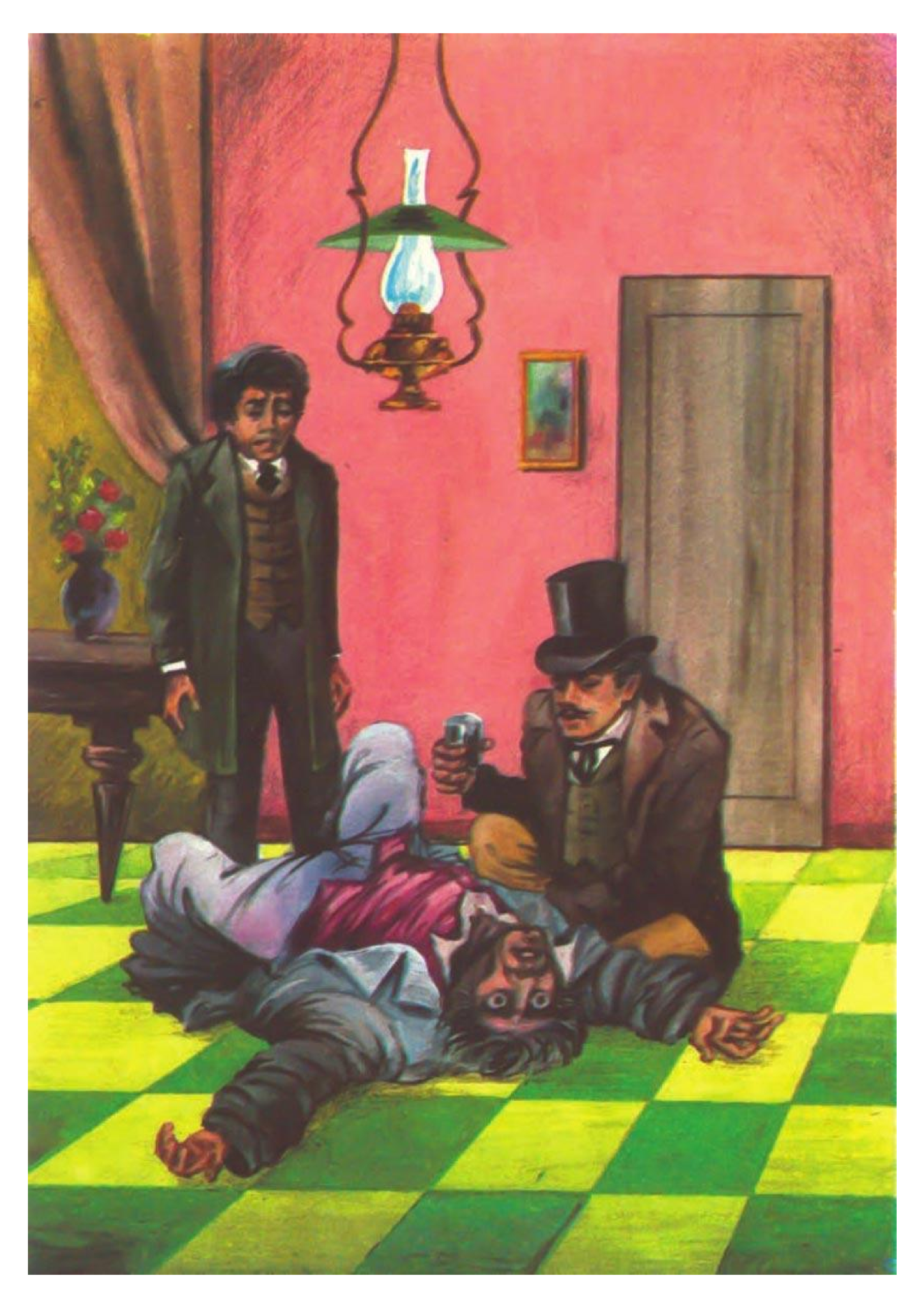
كانَتِ الدَّقائِقُ العَشرُ قَدِ انتَهَتْ فَأَخْرَجَ بُوول البَلْطةَ مِنْ تَحْتِ كَوْمةٍ مِنَ القَشِّ المُسْتَخْدَمِ في تَعْبِئةِ الصَّناديقِ، وَوَضَعَ الشَّمْعَة على أَقْرَبِ مِنْضَدةٍ كَيْ تُنيرَ لَهُما الطَّريقَ لِلْهُجومِ، ثُمَّ اقْتَرَبَ أَتِرْسُون وَبُوول بِأَنْفاسٍ مُتَهَدِّجةٍ مِنْ ذَلِكَ البابِ المُغْلَقِ الَّذي كانَتْ وَراءَه تِلْكَ الخُطُواتُ تَرُوحُ جَيْئَةً وذَهابًا في هَدْأَةِ اللَّيْلِ.

صاحَ أَتْرِسُون بِصَوْتٍ عالٍ: «جيكِل! أُريدُ أَنْ أَراكَ.» ثُمَّ تَوَقَّفَ لَحْظةً وَلَكِنْ لَمْ يَحْظَ بِأَيِّ رَدٍّ فَواصَلَ صِياحَهُ: «أَنا أُنْذِرُكَ. نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا ما قَدْ حَدَثَ وَيَجِبُ أَنْ أَراكَ، وَسَوْفَ أَراكَ لا مَحالةَ. وَإذا لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ بِالطَّريقِ الصَّحيحِ فَسَيَتِمُّ بِالطَّريقِ غَيْرِ الصَّحيحِ. إذا لَمْ يَتِمَّ بِرِضاكَ فَسَيَكونُ بِالقُوَّةِ الغاشِمةِ.»

رَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْتُ قائِلًا: «أَتِرْسُون! بِاللهِ عَلَيْكَ، ارحَمْني.»

فَقالَ أَتِرْسُون: «آهٍ! لَيْسَ هَذا صَوْتَ جِيكِل! إِنَّهُ صَوْتُ هايد! فَلْنُحَطِّمِ البابَ يا بُوول.»

فَرَفَعَ بُوول البَلْطةَ عاليًا، ثُمَّ ضَرَبَ البابَ بِعُنْفٍ فاهتَزَّ المَبْنى مِنْ تَأْثيرِ ضَرْبَتِهِ، وَارتَجَّ البابُ لِشِدَّتِها، وَدَوَّتْ مِنْ داخِلِ الحُجْرةِ صَيْحةٌ مُرْعِبةٌ وَكَأَنَّها صَيْحةُ وَحْشٍ خائِفٍ. ثُمَّ ارْتَفَعتِ البَلْطةُ مَرَّةً ثانيةً وَثالِثةً وَرابِعةً



وَارتَجَّ البابُ في كُلِّ مَرَّةٍ. وَلَكِنَّ الخَشَبَ كانَ مِنَ النَّوْعِ القَويِّ، والمُفَصِّلاتِ مِنَ النَّوْعِ المُمْتازِ. وفي الضَّرْبةِ الخامِسةِ انكَسَرَ القُفْلُ وَسَقَطَ حُطامُ البابِ داخِلَ الغُرْفةِ.

عِنْدَئِذٍ تَراجَعَ المُهاجِمانِ قَليلًا، وَقَدْ أَذْهَلَهُما العُنْفُ الَّذي استَخْدَماهُ وَالهُدوءُ الَّذي أَعْقَبَ عَمَلِيَّةَ اقتِحامِ البابِ، وَنَظَرا داخِلَ الغُرْفةِ. ها هِيَ ذي الغُرْفةُ هادِئةٌ في ضَوْءِ المِصْباحِ، وَنارُ المِدْفأَةِ مُشْتَعِلةٌ وَإبْريقُ الشّاي يُرْسِلُ أَزيزَهُ الخافِتَ، وَهُناكَ دُرْجٌ أَوْ دُرْجانِ مَفْتوحانِ، وَبَعْضُ الأَوْراقِ مُرَتَّبةٌ بِعِنايةٍ عَلى المِنْضَدةِ، وَإِلى جِوارِ المِدْفأَةِ كانَتِ الأَدَواتُ جاهِزةً لإعْدادِ الشّاي. وَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّها كانَتْ أَهْدَأَ غُرْفةٍ في لَنْدن، وَأَكْثَرَها تَنْسيقًا وَنِظامًا.

وَفي وَسَطِ الغُرْفةِ كانَتْ جُثَّةُ رَجُلٍ مُلْقاةً على الأَرْضِ، فَاقْتَرَبا مِنْهُ على أَطْرافِ أَصابِعِهِما، وَقَلَباهُ عَلى ظَهْرِهِ. فَرَأَيا وَجْهَ إدْوارْد هايد وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أَماراتُ الأَلَمِ الشَّديدِ. لَقَدْ كانَ مُرْتَدِيًا مَلابِسَ واسِعةً جِدًّا عَلَيْهِ.. مَلابِسَ في حَجْمِ الدُّكْتُور جيكِل. وَكانَتْ قَسَماتُ وَجْهِهِ تَبْدو وَكَأَنَّها حَيَّةٌ، وَلَكِنَّ الحَياةَ كانَتْ قَدْ فارَقَتِ الجَسَدَ. وَأَدْرَكَ أَترْسُون - عِنْدَما رَأى القارورةَ المَكْسورةَ في يَدِ الجُثَّةِ المُلْقاةِ، وَشَمَّ الرّائِحةَ القَوِيَّةَ داخِلَ الغُرْفةِ - أَنَّهُ يَنْظُرُ إلى جُثَّةِ رَجُلٍ قَدِ انتَحَرَ.

قالَ: «لَقَدْ جِئْنا مُتَأَخِّرَيْن سَواءٌ أَكُنّا نُريدُ الإِنْقاذَ أَوِ العِقابَ. لَقَدْ ذَهَبَ هايِد إلى حَيْثُ يَلْقى حِسابَهُ. وَلَمْ يَبْقَ لَنا إلّا أَنْ نَجِدَ جُثَّةَ سَيِّدِكَ.»

وَبَدَآ يَفْحَصانِ المَكانَ بِكُلِّ عِنايةٍ، وَلَمْ تَكُنْ أَيُّ غُرْفةٍ في حاجةٍ إلى أَكْثَرَ

مِنْ نَظْرَةٍ واحِدةٍ، إذْ إنَّ جَميعَ الغُرَفِ كانَتْ خاليةً وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ الغُبارِ الَّذي تَساقَطَ عِنْدَ فَتْحِ أَبْوابِها أَنَّها ظَلَّتْ مُغْلَقَةً لِفَتْرَةٍ طَويلةٍ. وَلَمْ يَجِدا في أَيِّ مَكانٍ أَيَّ أَثَرٍ لهنْرِي جِيكِل حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

دَقَّ بُوول بِقَدَمِهِ أَرْضَ الغُرْفةِ وأَنْصَتَ ثُمَّ قالَ: «لا بُدَّ أَنَّهُ مَدْفونٌ هُنا.»

قالَ أَتِرْسُون: «أَوْ رُبَّما يكونُ قَدْ هَرَب.» وَاتَّجَهَ لِيَتَفَحَّصَ البابَ المُؤَدِّيَ إلى الشّارِعِ الجانِبِيِّ. لَكِنَّ البابَ كانَ مُغْلَقًا، وَعِنْدَما بَحَثا إلى جِوارِهِ وَجَدا المِفْتاحَ وَقَدْ عَلاهُ الصَّدَأ، فَقالَ المُحامي: «يَبْدو أَنَّ هَذا المِفْتاحَ لَمْ يُسْتَخْدَمْ مُنْذُ زَمَنٍ.»

قالَ بُوول: «أَلا تَرى يا سَيِّدي أَنَّهُ مَكْسورٌ، كَما لَوْ كانَ شَخْصٌ قَدْ داسَ عَلَيْهِ فَكَسَرَهُ؟»

قالَ المُحامي: «آهٍ، هَذا صَحيحٌ! والمِفْتاحُ مُغَطًّى بِالصَّدَإِ.»

تَبادَلَ الرَّجُلانِ نَظْرَةً فيها خَوْفٌ وَقَلَقٌ، ثُمَّ واصَلَ أَتِرْسُون حَديثَهُ قائِلًا: «إِنَّني لا أَفْهَمُ شَيْئًا يا بُوول، فَلْنَرْجِعْ إلى غُرْفةِ المَعْمَلِ.»

صَعِدا السُّلَّمَ في صَمْتٍ وَبَدَآ يَفْحَصانِ مُحْتَوَياتِ الغُرْفةِ بِدِقَّةٍ أَكْبَرَ وَهُما يَنْظُرانِ إلى الجُثَّةِ المُلْقاةِ عَلى الأَرْضِ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الفَزَعِ. وَكانَ على إحْدى المَناضِدِ بَقايا بَعْضِ المَوادِّ الكيماوِيَّةِ، وَمَقاديرُ مُخْتَلِفةٌ مِنْ مادَّةٍ بَيْضاءَ وُضِعَتْ في أَطْباقٍ زُجاجيَّةٍ صَغيرةٍ.

قالَ بُوول: «هَذا هُوَ العَقّارُ نَفْسُهُ الَّذي كُنْتُ أَذْهَبُ دائِمًا لإحْضارِهِ لَهُ.

وَعِنْدَئِذٍ أَحْدَثَ إبْريقُ الشّاي صَوْتًا مُفاجِئًا بِسَبَبِ غَلَيانِ الماءِ فيهِ مِمّا وَجَّهَ انتباهَهُما إلى المِدْفأَةِ، حَيْثُ كانَ قَدْ أُعِدَّ كُرْسيٌّ وَثيرٌ وَوُضِعَتْ أَدَواتُ إعْدادِ الشّاي إلى جِوارِهِ. وَكانَ السُّكَّرُ مَوْضوعًا في الفِنْجانِ. وَكانَ على أَحَدِ الرُّفوفِ عَدَدٌ مِنَ الكُتُبِ، وَكانَ هُناكَ كِتابٌ مَفْتوحٌ بِجِوارِ أَدَواتِ الشّاي. وَقَدْ دَهِشَ أَتِرْسُون عِنْدَما وَجَدَ أَحَدَ الكُتُبِ الدّينيَّةِ الَّتي كانَ جيكِل مُعْجَبًا بِها، وَلَكِنْ كانَ عَلى هَوامِشِ الكِتابِ عِباراتُ كُفْرٍ وَإلْحادٍ مَكْتوبةٌ بِخَطِّ جيكِل نَفْسِهِ.

اِتَّجَهَتْ أَنْظارُهُما بَعْدَ ذَلِكَ إلى المِرْآةِ الطَّويلةِ، وَشاهَدا، وَقَدِ استَبَدَّ بِهِما الرُّعْبُ، ما تَعْكِسُهُ أَعْماقُ المِرْآةِ مِنْ صُوَرٍ. وَكانَتِ المِرْآةُ مَوْضوعةً بِحَيْثُ لا تَعْكِسُ إلّا وَجْهَيْهِما الشّاحِبَيْنِ، وَأَلْسِنةَ اللَّهَبِ الوَرْديِّ وَهِيَ تَتَراقَصُ في المِدْفأَةِ وَتَنْعَكِسُ في صُوَرٍ وَأَشْكالٍ مُتَعَدِّدةٍ عَلى الواجِهاتِ الزُّجاجيَّةِ لِخَزائِنِ العَقاقيرِ.

هَمَسَ بُوول قائِلًا: «لَقَدْ شَهِدَتْ هَذِهِ المِرْآةُ أَحْداثًا غَريبةً يا سَيِّدي.»

قالَ المُحامي: «لَيْسَ هُناكَ أَغْرَبُ مِنْها ذاتِها! ماذا كانَ يُريدُ جيكِل؟»

وَهُنا أَصابَتْهُ رِعْدةٌ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ صَديقِهِ، وَلَكِنَّهُ استَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وَواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا: «ماذا كانَ يُريدُ جيكِل عِنْدَما جاءَ بِها إلى هُنا.»

قالَ بُوول: «هَذا هُوَ السُّؤالُ!»

اِتَّجَها بَعْدَ ذَلِكَ إلى مَكْتَبِ الدُّكْتُور جيكِل فَوَجَدا أَكْوامًا مِنَ الأَوْراقِ المُرَتَّبَةِ بِعِنايةٍ، وَعَلَيْها ظَرْفٌ كَبيرٌ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ اسمُ أَتِرْسُون بِخَطِّ الطَّبيبِ

نَفْسِهِ. فَتَحَ المُحامي الظَّرْفَ وَتَساقطَ مِنْهُ عَلى الأَرْضِ عَدَدٌ مِنَ المُرْفَقاتِ، وَكانَ أَوَّلها وصيَّةٌ مَكْتوبةٌ بِنَفْسِ الشُّروطِ الغريبةِ وَالَّتي كانَ أتِرْسون قَدْ أَعادَها إلى الطَّبيبِ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَلَكِنْ مَكانَ اسمِ إدْوارْد هايد قَرَأَ المُحامي – وَعَيْناهُ لا تُصَدِّقانِ ما يَرى – اسْم جابْرِييل جُون أَتِرْسُون، فَنَظَرَ إلى بُوول ثُمَّ إلى الوَصيَّةِ مَرَّةً أُخْرى، وَأَخيرًا إلى جُثَّةِ الرَّجُلِ المُمَدَّدةِ عَلى البِساطِ (السَّجّادَةِ).

قال: «إنَّ رَأْسي تَدورُ. لَقَدْ كانَتْ هَذِهِ الوَصيَّةُ مَعَهُ كُلَّ هَذِهِ الأَيّام، وَلَيْسَ مِنْ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُحِبَّني. وَلا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ شَعَرَ بِالغَضَبِ الشَّديدِ لِتَهَجُّمي عَلَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يُمَزِّقْ هَذِهِ الوَصيَّةَ.»

وَأَمْسَكَ المُحامي بِثانيةِ المُرْفَقاتِ. لَقَدْ كانَتِ رِسالةً مُخْتَصَرةً بِخَطِّ الطَّبيبِ وَفي أَعْلاها تاريخُها. فَقالَ لِبُوول صائِحًا: «بُوول لَقَدْ كانَ سَيِّدُكَ حَيًّا وفي هَذِهِ الغُرْفةِ اليَوْمَ. لَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكونَ أَحَدٌ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ في مِثْلِ هَذِهِ الفَتْرةِ القَصيرةِ. لا بُدَّ أَنَّهُ ما يَزالُ حَيًّا. لا بُدَّ أَنَّهُ هَرَبَ، وَلَكِنْ لِماذا يَهْرُبُ؟ وَكَيْفَ يَهْرُبُ؟ وَإذا قُلْتُ إنَّهُ هَرَبَ فَهَلْ يُمْكِنُنا القَوْلُ إنَّ هايد قَدِ انتَحَرَ؟ عَلَيْنا أَنْ نَكُونَ في مُنْتَهى الحَذَرِ، وَإلّا جَلَبْنا عَلى سَيِّدِكَ شَرًّا مُسْتَطيرًا.»

فَسَأَلَهُ بُوول: «لِماذا لا تَقْرَأُ الرِّسالةَ يا سَيِّدي؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِ المُحامي في لَهْجةٍ جافَّةٍ قائِلًا: «لِأَنّي أَخْشى ما فيها. أَسْأَلُ اللهَ أَلّا يَكونَ هُناكَ داعٍ لِهَذا الخَوْفِ.» ثُمَّ قَرَّبَ الوَرَقةَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَرَأَ ما يَلي:

«عَزيزي أَتِرْسُون،

عِنْدَما تَقَعُ هَذِهِ الوَرَقَةُ في يَدِكَ سَأَكُونُ قَدِ اختَفَيْتُ في ظُروفٍ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَتَكَهَّنَ بِها. وَلَكِنَّ مَشاعِري وَالظُّروفَ المُحيطَةَ بِمَوْقِفي الغَريبِ هَذا تَجْعَلُني أَقولُ إِنَّ النِّهايَةَ آتِيَةٌ لا مَحالَةَ وَإِنَّها قَدْ دَنَتْ. اِذْهَبْ وَاقرَإِ القِصَّةَ الَّتي قالَ لي لانْيُون إِنَّهُ سَوْفَ يَضَعُها بَيْنَ يَدَيْكَ. وَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ المَزيدَ فَاقرَإِ اعتِرافاتِ صَديقِكَ البائِسِ الَّذي لا يَسْتَحِقُّ صداقَتَكَ.

هِنْري جِيكِل»

قالَ أَتِرْسُون: «لَقَدْ كانَتِ المُرْفَقاتُ ثَلاثًا، فَأَيْنَ الثَّالِثَةُ؟»

أَجابَهُ بُول: «ها هِيَ ذي يا سَيِّدي.» وَأَعْطاهُ رَبْطَةً مَخْتومَةً في عِدَّةِ أَماكِنَ. فَوَضَعَها المُحامي في جَيْبِهِ قائِلًا: «لا تَقُلْ شَيْئًا عَنْ هَذِهِ الرِّسالَةِ. إِذا كانَ سَيِّدُكَ هَرَبَ أَوْ قُتِلَ فَفي وُسْعِنا – عَلى الأَقَلِّ – أَنْ نُحافِظَ على سُمْعَتِهِ. إِنَّ السّاعَةَ الآنَ العاشِرَةُ، وَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلى البَيْتِ وَأَقْرَأَ هَذِهِ الأَوْراقَ في هُدوءٍ، وَلَكِنّي سَأَعودُ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ لِنُرْسِلَ في طَلَبِ الشُّرْطَةِ.»

ثُمَّ خَرَجا وَأَغْلَقا بابَ المَعْمَلِ وَراءَهُما. وَمَرَّ أَتِرْسُون مَرَّةً أُخْرى بَيْنَ الخَدَمِ المُجْتَمِعينَ حَوْلَ المِدْفَأَةِ، وَسارَ إِلى بَيْتِهِ حَزينًا كَيْ يَقْرَأَ الوَثيقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَوْفَ تُزيلانِ ما شابَ هَذِهِ الأَحْداثَ مِنْ غُموضٍ.

القِصَّةُ كَما رَواها دُكْتُور لانْيُون

في اليَوْمِ التّاسِعِ مِنْ يَنايِر سنة – ١٨، أَيْ مُنْذُ أَرْبَعةِ أَيّام، تَلَقَّيْتُ بِبَريدِ المَساءِ خِطابًا مُسَجَّلًا مُرْسَلًا مِنْ صَديقي وَزَميلِ الدِّراسةِ القَديم هِنْري جيكِل. فَاندَهَشْتُ كَثيرًا، لِأَنَّنا لَمْ نَعْتَدْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَتَراسَلَ، فَضْلًا عَنْ أَنّي كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَتَناوَلْتُ العَشاءَ مَعَهُ في اللَّيْلَةِ السّابِقةِ. وَلِهَذا لَمْ أَتَخَيَّلْ وُجودَ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُرْسِلَ لي خِطابًا مُسَجَّلًا. أَمّا مُحْتَوَياتُ الخِطابِ فَقَدْ زادَتْ مِنْ دَهْشَتي. وَإِلَيْكَ ما جاءَ بِهِ:

«١٠ ديسمْبر سنة – ١٨

«عَزيزي لانْيُون،

أَنْتَ مِنْ أَقْدَمِ أَصْدِقائي. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنا قَدِ اختَلَفْنا أَحْيانًا حَوْلَ بَعْضِ المَوْضوعاتِ العِلْميَّةِ، فَإِنَّني لا أَذْكُرُ قَطُّ أَنَّ مَحَبَّتَنا قَدْ تَأَثَّرَتْ بِذَلِكَ – أَقولُ هَذا بِالنِّسْبةِ لي عَلى الأَقَلِّ. وَلَوْ تَخَيَّلْنا أَنَّهُ جاءَ يَوْمٌ تَقولُ لي فيهِ يا جيكِل إِنَّ حَياتي وَشَرَفي وَقُدْرَتي عَلى التَّفْكيرِ السَّليم تَتَوَقَّفُ جَميعًا على مُساعَدَتِكَ لي لَبادَرْتُ في الحالِ وَضَحَّيْتُ بِكُلِّ ما أَمْلِكُ، وَبِيَدي ذاتِها، لِمُساعَدَتِكَ. وَأَنا أَقولُ لَكَ بِدَوْري يا لانْيُون إِنَّ حَياتي وَشَرَفي وَقُدْرَتي عَلى التَّفْكيرِ السَّليمِ هِيَ كُلُّها تَحْتَ رَحْمَتِكَ. وإِذا تَخَلَّيْتَ عَنّي هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَسَوْفَ أَضيعُ.

«أُريدُ مِنْكَ أَنْ تُؤَجِّلَ جَميعَ التِزاماتِكَ وَمَواعيدِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ حَتّى إِنْ كُنْتَ مَطْلوبًا لِعِيادةِ أَحَدِ الأَباطِرةِ (المُلوكِ والحُكّامِ). وَأَنْ تُؤَجِّرَ عَرَبةً، وَتَأْخُذَ

هَذا الخِطابَ مَعَكَ لِتَرْجِعَ إلَيْهِ ثُمَّ تتَّجِهُ رَأْسًا إلى بَيْتي. وَقَدْ أَصْدَرْتُ أَوامِري إلى بُوول رَئيسِ خَدَمي، وَسَوْفَ تَجِدُهُ في انتِظارِكَ وَمَعَهُ صانِعُ مَفاتيحَ. وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْتَحوا بابَ غُرْفتي بالمَعْمَلِ، وَأَنْ تَدْخُلَها أَنْتَ بِمُفْرَدِكَ وَتَفْتَحَ بابَ الخَزينةِ الزُّجاجيَّ المَكْتوبَ عَلَيْهِ الحَرْفُ (أ) مِنْ ناحيةِ اليَسارِ، وَأَنْ تكْسِرَ القُفْلَ إذا كانَتِ الخَزينةُ مُغْلَقةً، ثُمَّ تُخْرِجَ الدُّرْجَ الرّابعَ مِنْ أَعْلى بِكُلِّ ما فيهِ دُونَ أَيِّ تَغْييرٍ - وَهُوَ نَفْسُهُ الدُّرْجُ الثّالِثُ مِنْ أَسْفَلُ. إنَّني أَخْشَى - وَأَنا أُعاني حاليًّا مِنَ الارْتِباكِ الذِّهْنيِّ - أَنْ أُسيءَ تَوْجيهَكَ. وَلَكِنَّكَ سَوْفَ تَعْرِفُ الدُّرْجَ المَطْلوبَ بما فيهِ مِنْ مُحْتوياتٍ. فَفيهِ بَعْضُ المَساحيقِ وَقِنّينةٌ زُجاجيَّةٌ صَغيرةٌ وكِتابٌ. أَرْجُوكَ أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ هَذا الدُّرْجَ إلى مَيْدانِ كافِنْديش كَما هُوَ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ فيهِ أَيَّ تَغْييرٍ.

«هَذا هُوَ الجُزْءُ الأوَّلُ مِنَ الخِدْمةِ الَّتي أَرْجُوها مِنْكَ، أَمّا عَنِ الخِدْمةِ الثّانيةِ فَهِيَ كَما يَلي: إذا بَدَأْتَ تَنْفيذَ ما طَلَبْتُهُ مِنْكَ بِمُجَرَّدِ استِلامِكَ هَذا الخِطابَ فَسَوْفَ تَتَمَكَّنُ مِنَ العَوْدةِ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَأَنْ تُدْخِلَ بِنَفْسِكَ إلى بَيْتِكَ رَجُلًا سَوْفَ يُخْبِرُكَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ طَرَفي وَتُعْطيه الدُّرْجَ الَّذي أَحْضَرْتَهُ مِنْ غُرْفَتي. وبذلك تَكُونُ قَدْ قُمْتَ بِدَوْرِكَ، وَاستَحْقَقْتَ شُكْري الجَزيلَ وَعِرْفاني لَكَ بِالجَميلِ. وَإذا كُنْتَ مُصِرًّا عَلى تَوْضيحِ ما لابَسَ هَذه المُهِمَّةَ مِنْ غُموضٍ فَسَوْفَ تُدْرِكُ - بَعْدَ مُرورِ خَمْسِ دَقائقَ على إنْجازِها - أَنَّ هَذِهِ التَّرْتيباتِ عَلى الرَّغْمِ مِنْ غَرابَتِها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ بالِغةٍ، وَأَنَّ إهْمالَ أَيِّ جُزْءٍ مِنْها سَيُؤَدّي إلى وَفاتي أَو اختِلالِ قُدْراتي العَقْليَّةِ، وَأَنَّكَ سَتكُونُ المَسْئولَ عَمّا حَدَثَ.

«وَعَلى الرَّغم مِنْ ثِقَتي بِأَنَّكَ سَوْفَ تَسْتَجيبُ لِهَذا الرَّجاءِ فَإِنَّ قَلْبي يَخْفِقُ وَيَدَيَّ تَرْتَجِفانِ لِمُجَرَّدِ التَّفْكيرِ في احتِمالِ عَدَمِ استِجابَتِكَ لَهُ. فَكِّرْ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَأَنا في مَكانٍ غَريبٍ أُعاني مِنَ الكَرْبِ الشَّديدِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنا واثِقٌ أَنَّكَ لَوْ قَدَّمْتَ لي هَذِهِ الخِدْمَةَ فَسَوْفَ يَنْقَشِعُ هَذا الكَرْبُ، وَتَزولُ عَنّي تِلْكَ المَتاعِبُ، وَكَأَنَّها قِصَّةٌ قديمة عَفاها الزَّمَنُ. اُخدُمْني يا عَزيزي لانيون وَأَنْقِذْ صَديقَك.

هـ.ج.»

«مَلْحوظَةٌ: بَعْدَ أَنْ أَغْلَقْتُ هَذا الخِطابَ خَطَرَ بِبالي أَنَّهُ مِنَ المُحْتَمَلِ أَلا يُسْعِفَني البَريدُ فَلا يَصِلُكَ هَذا الخِطابُ إلّا في صَباحِ الغَدِ. وَفي هَذِهِ الحالَةِ يا عَزيزي لانيُون قُمْ بِما طَلَبْتُهُ مِنْكَ في الوَقْتِ الَّذي يُناسِبُكَ أَثْناءَ النَّهارِ، ثُمَّ تَوَقَّعْ حُضورَ رَسُولي عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. رُبَّما يَنْجُمُ عَنْ ذَلِكَ ضَياعُ الفُرْصَةِ. أَمّا إذا مَرَّتِ اللَّيْلَةُ الثّانيَةُ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ فاعلَمْ أَنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ نِهايَةَ صَديقِكَ هِنْري جيكِل.»

«عِنْدَما قَرَأْتُ هَذا الخِطابَ تَأَكَّدْتُ أَنَّ صَديقي قَدْ جُنَّ. وَلكِنّي وَجَدْتُ أَنَّ مِنْ واجِبي أَنْ أُنَفِّذَ ما طَلَبَهُ مِنّي إِلى أَنْ يَثْبُتَ لي دُونَ أَدْنى شَكٍّ أَنَّهُ قَدْ أُصيبَ بِالجُنونِ. إنَّ عَدَمَ فَهْمي لِهَذِهِ الرِّسالَةِ الغَريبَةِ جَعَلَني غَيْرَ قادِرٍ على فَهْمِ مَدى أَهَمِّيَّتِها، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يُهْمِلَ شَخْصٌ رَجاءً صِيغَ بِمِثْلِ هَذِهِ العِباراتِ. لِهَذا غادَرْتُ مَكْتَبي، وَاستَدْعَيْتُ عَرَبَةً ثُمَّ ذَهَبْتُ بِها في الحالِ إلى مَنْزِلِ الدُّكْتُور جيكِل. وَكانَ رئيسُ الخَدَمِ في انتِظاري، إذْ كانَ قَدْ تَسَلَّمَ في نَفْسِ البَريدِ خِطابًا مُسَجَّلًا بِهِ التَّعْليماتُ الخاصَّةُ بِهِ، وَأَرْسَلَ

فَوْرًا في طَلَبِ صانِعِ مَفاتيحَ وَنَجّارٍ. وَجاءَ العامِلانِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ فاتَّجَهْنا جَميعًا نَحْوَ المَعْمَلِ. كانَ بابُ الغُرْفَةِ قَوِيًّا، والقُفْلُ مُمْتازًا، فَقالَ النَّجّارُ إِنَّهُ سَيَجِدُ صُعوبَةً كَبيرةً في فَتْحِ البابِ، وَسَيُلْحِقُ بِهِ ضَرَرًا بالِغًا إذا استَخْدَمَ القُوَّةَ في فَتْحِهِ. أَمّا صانِعُ المَفاتيحِ فَقَدْ كادَ اليَأْسُ أَنْ يَتَمَلَّكَهُ، وَلَكِنَّهُ كانَ عامِلًا ماهِرًا وَنَجَحَ بَعْدَ مُرورِ ساعَتَيْنِ في أَنْ يَفْتَحَ البابَ.

«فَتَحْتُ بَعْدَ ذَلِكَ الخَزينةَ الَّتي عَلَيْها الحَرْفُ (أ) وَأَخْرَجْتُ الدُّرْجَ المَطْلوبَ، وَمَلأْتُهُ بِالقَشِّ، ثُمَّ رَبَطْتُهُ وَلَفَفْتُهُ بِالوَرَقِ، وَعُدْتُ بِهِ إِلى بَيْتي.

«أَخَذْتُ أَفْحَصُ مُحْتَوَياتِهِ، فَوَجَدْتُ المَساحيقَ مَصْنوعةً بِعِنايةٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَهارةِ الصَّيْدَليِّ؛ وَلِهَذا فَقَدْ بَدا واضِحًا أَنَّها كانَتْ مِنْ صُنْعِ جيكِل. وَعِنْدَما فَتَحْتُ أَحَدَ الظُّروفِ وَجَدْتُ ما بَدا لي مِلْحًا عاديًّا أَبْيَضَ اللَّوْنِ. ثُمَّ نَظَرْتُ إِلى القِنّينةِ فَوَجَدْتُها مُمْلوءَةً إِلى مُنْتَصَفِها بِسائِلٍ في حُمْرةِ الدَّمِ. أَمّا الكِتابُ فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُفَكِّرةٍ عاديَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ مَكْتوبًا بِها غَيْرُ قائِمةِ تَواريخَ. وَكانَتْ هَذِهِ التَّواريخُ تُغَطّي عِدَّةَ سِنينَ، وَلَكِنّي لاحَظْتُ أَنَّ الكِتابةَ تَوَقَّفَتْ مُنْذُ عامٍ تَقْريبًا وَأَنَّها تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً. وكانَتْ هُناكَ مَلْحوظةٌ تُضافُ أَمامَ بَعْضِ التَّواريخِ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المَلْحوظةُ تَعْدو – في مُعْظَمِ الأَحْوالِ – كَلِمةً واحِدةً هِيَ كَلِمةُ «مَرَّتَيْنِ». وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الكَلِمةُ في حَوالَي سِتِّ مَرّاتٍ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ مِئاتٍ مِنَ التَّواريخِ. وَكانَتْ هُناكَ عِبارةٌ أُخْرى وَرَدَتْ في تاريخٍ مُبَكِّرٍ وَأَعْقَبَتْها عِدَّةُ عَلاماتِ تَعَجُّبٍ، وَهِيَ عِبارةُ «إِخْفاقٌ كامِلٌ»، وَلَكِنَّ هَذِهِ العِبارةَ لَمْ تَتَكَرَّرْ بَعْدَ ذَلِكَ.

«عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذا كلَّهُ قَدْ زادَ مِنْ فُضُولي فَإِنَّهُ لَمْ يُفِدْني كَثيرًا، إِذْ كَيْفَ يَنْجُمُ عَنْ وُجودِ هَذِهِ الأَشْياءِ في بَيْتي أَيُّ أَثَرٍ عَلى شَرَفِ الدُّكْتُور جيكِل أَو سَلامةِ عَقْلِهِ أَوْ حَياتِهِ؟ وإذا كانَ في استِطاعةِ رَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلى بَيْتي فَلِماذا لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى أَيِّ مَكانٍ آخَرَ؟ وَلِماذا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُقابِلَ ذَلِكَ الشَّخْصَ سِرًّا؟ كُلَّما أَطَلْتُ التَّفْكيرَ في هَذِهِ المَوْضوعاتِ زادَ اعتِقادي بِأَنّي أَتعامَلُ مَعَ حالةٍ مِنْ حالاتِ المَرَضِ العَقْليِّ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنّي أَمَرْتُ خَدَمي أَنْ يَذْهَبوا إِلى فِراشِهِمْ فَإِنَّني حَشَوْتُ مُسَدَّسي القَديمَ بِالرَّصاصِ حَتَّى أَكُونَ عَلى استِعْدادٍ لِلدِّفاعِ عَنْ نَفْسي.

«وَما إِنْ دَقَّتِ السّاعةُ مُعْلِنَةً الثّانيةَ عَشْرةَ حَتَّى سَمِعْتُ طَرْقةً خَفيفةً عَلى البابِ. وَذَهَبْتُ بِنَفْسي لِأَفْتَحَ البابَ، فَوَجَدْتُ شَخْصًا ضَئيلَ الجِسْمِ يَتَّكِئُ بِصُورةٍ تَدْعو إِلى الشَّفَقةِ عَلى أَحَدِ أَعْمِدةِ المَدْخَلِ.

سَأَلْتُهُ: «هَلْ جِئْتَ مِنْ عِنْدَ الدُّكْتُور جيكِل؟»

أَجابَني: «نَعَمْ.» وَأَوْمَأَ قَليلًا بِرَأْسِهِ. وَعِنْدَما طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ لَمْ يَسْتَجِبْ لي قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ وَراءَهُ إِلى المَيْدانِ المُظْلِمِ، حَيْثُ كانَ أَحَدُ رِجالِ الشُّرْطَةِ يَسيرُ عَلى مَسافةٍ غَيْرِ بَعيدةٍ وَمِصْباحُهُ مُضاءٌ. وَعِنْدَما رَأَى زائِري رَجُلَ الشُّرْطةِ انزَعَجَ وَأَسْرَعَ بِالدُّخولِ.

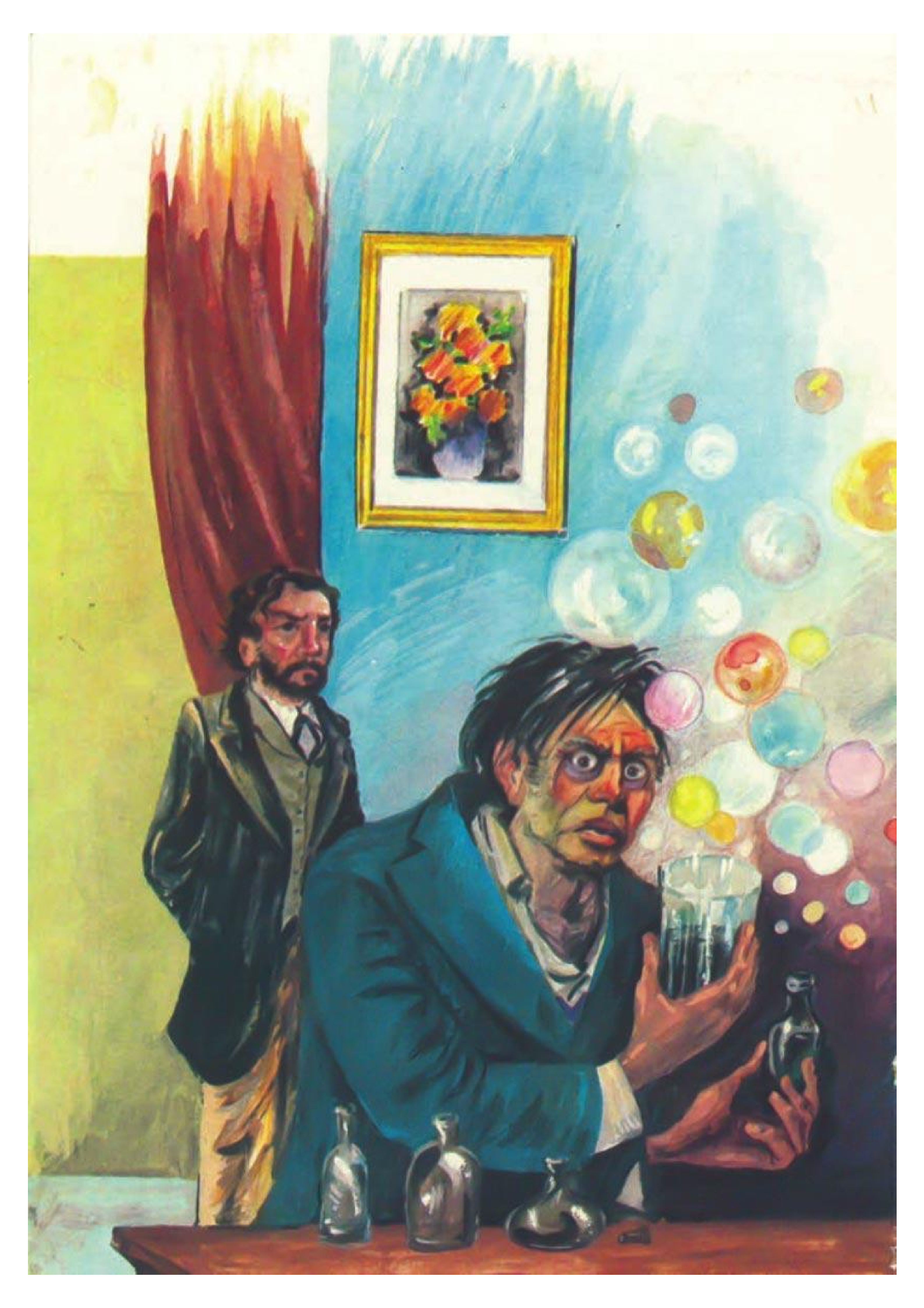
«أَنا أَعْتَرِفُ بِأَنَّ هَذِهِ التَّفاصيلَ قَدْ جَعَلَتْني لا أَرْتاحُ لِلشَّخْصِ، وَلِهَذا وَضَعْتُ يَدي عَلى مُسَدَّسي وَأَنا أَتْبَعُهُ إِلى غُرْفةِ الكَشْفِ ذاتِ الضَّوْءِ الباهِرِ حَيْثُ وَجَدْتُ في النِّهايةِ فُرْصةً لِأَتَبَيَّنَ مَلامِحَهُ بِوُضوحٍ. إِنَّني لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ

ذَلِكَ – هَذا أَمْرٌ أَكيدٌ. لَقَدْ كانَ ضَئيلَ الجِسْمِ، كَما سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ، وَلَكِنَّ مَلامِحَ وَجْهِهِ كانَتْ مِنَ الفَظاعَةِ بِحَيْثُ صَدَمتني. وَأَذْهَلَني كَذَلِكَ أَنَّهُ كانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الحَرَكَةِ النَّشيطَةِ والضَّعْفِ البَدَنيِّ البادي عَلَيْهِ. وَأَذْهَلَني ما أَحْدَثَهُ وُجودُهُ مَعي في تِلْكَ الظُّروفِ مِنِ اضطِرابٍ.

«كانَ الرَّجُلُ يَرْتَدي مَلابِسَ تَجْعَلُ لابِسَها مَوْضِعَ سُخْريةٍ وَاستِهْزاءٍ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كانَتْ مَصْنوعةً مِنْ قُماشٍ مُمْتازٍ فَقَدْ كانَتْ واسِعةً عَلَيْهِ بِصُورةٍ مَلْحوظة. فَقَدْ كانَ البَنْطَلونُ فَضْفاضًا وَقَدْ طَوَى طَرَفَيْهِ حَتَّى لا يَتَدَلَّيا عَلى الأَرْضِ؛ وَكانَ الجُزْءُ الأَوْسَطُ مِنْ سُتْرَتِهِ إلى ما دُونَ خَصْرِهِ بِدَرَجةٍ كَبيرةٍ، كَما كانَتِ الياقةُ واسِعةً بِحَيْثُ امتَدَّتْ عَلى كَتِفَيْهِ. وَالغَريبُ في الأَمْرِ أَنَّ هَذا اللِّباسَ المُضْحِكَ لَمْ يُثِرْ عِنْدي أَيَّ مَيْلٍ إلى الضَّحِكِ، لِأَنَّ اهتِمامي بِطَبيعةِ الرَّجُلِ وَشَخْصِيَّتِهِ اقتَرنَ بِحُبِّ استِطْلاعٍ دَفعَني إلى مَعْرِفةِ أَصْلِهِ وَأُسْلوبِ حَياتِهِ وَوَضْعِهِ الاجتِماعيِّ.

«كانَ زائِري في غايةِ العَجَلةِ مِنْ أَمْرِهِ. فَقَدْ صاحَ بي: «هَلْ أَحْضَرْتَها؟ هَلْ أَحْضَرْتَها؟» وَكانَ مِنَ التَّسَرُّعِ بِحَيْثُ وَضَعَ يَدَهُ عَلى ذِراعي وَحاوَلَ أَنْ يَهُزَّني. وَلَكِنّي دَفَعْتُ يَدَهُ بَعيدًا، وَقَدْ أَحْسَسْتُ عِنْدَما لَمَسَني بِقُشَعْريرةٍ بارِدةٍ تَسْري في دَمي.

«قُلْتُ لَهُ: (تَعالَ يا سَيِّدي لَقَدْ نَسيتُ أَنَّنا لَمْ نَتَعارَفْ بَعْدُ. اِجْلِسْ مِنْ فَضْلِكَ.) وَجَلَسْتُ أَنا حَتَّى يَحْذُوَ حَذْوي. جَلَسْتُ في مَقْعَدي المُعْتادِ مُتَصَنِّعًا أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الهُدوءِ يَسْمَحُ بِهِ هَذا المَوْقِفُ الغَريبُ في تِلْكَ السّاعَةِ



المُتَأَخِّرةِ مِنَ اللَّيْلِ، وَقَدْ ساوَرَني مِنَ الأَفْكارِ الغَريبةِ قَدْرٌ كَبيرٌ وَشَعَرْتُ بِالفَزَعِ مِنْ هَذا الزّائِرِ الغَريبِ.

«أَجابَني بِأَدَبٍ بالِغٍ: (عَفْوًا يا دُكْتُور لانْيُون. إنَّ ما تَقولُهُ صَحيحٌ. إنَّ تَسَرُّعي قَدْ غَطَّى عَلى ما يَجِبُ أَنْ أَتَّبِعَهُ مِنْ أُسْلوبٍ مُهَذَّبٍ. لَقَدْ جِئْتُ هُنا استِجابةً لِطَلَبِ صَديقِكَ الدُّكْتُور جِيكِلِ في أَمْرٍ لَهُ بَعْضُ الخُطورةِ. وَلَقَدْ فَهِمْتُ مِنْهُ...) وَهُنا تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى عُنُقِهِ. وَلاحَظْتُ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ تَظاهُرِهِ بالهُدوءِ، أَنَّهُ في صِراعٍ مَعَ مُقَدِّماتِ أَزْمةٍ لا سَيْطَرَةَ لَهُ عَلَيْها. ثُمَّ تَمْتَمَ قائِلًا: (لَقَدْ فَهِمْتُ مِنْهُ... دُرْجًا.) وهُنا أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: (ها هُوَ ذا.) مُشيرًا إلى الدُّرْجِ الَّذي كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُهُ عَلى الأَرْضِ وَراءَ المِنْضَدةِ وَعَلَيْهِ غِطاؤُهُ.

«قَفَزَ الرَّجُلُ نَحْوَ الدُّرْجِ ثُمَّ تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرِهِ في مَوْضِعِ القَلْب، وَسَمِعْتُ صَريفَ (صَوْتَ) أَسْنانِهِ، وَنَظَرْتُ إلى وَجْهِهِ فَوَجَدْتُهُ شاحِبًا مُرْعِبًا مِمّا جَعَلَني أَشْعُرُ بِالانْزِعاجِ عَلى حَياتِهِ وَعَلى قُواهِ العَقْلِيَّة.

«قُلْتُ لَهُ: (هَوِّنْ عَلَيْكَ.)

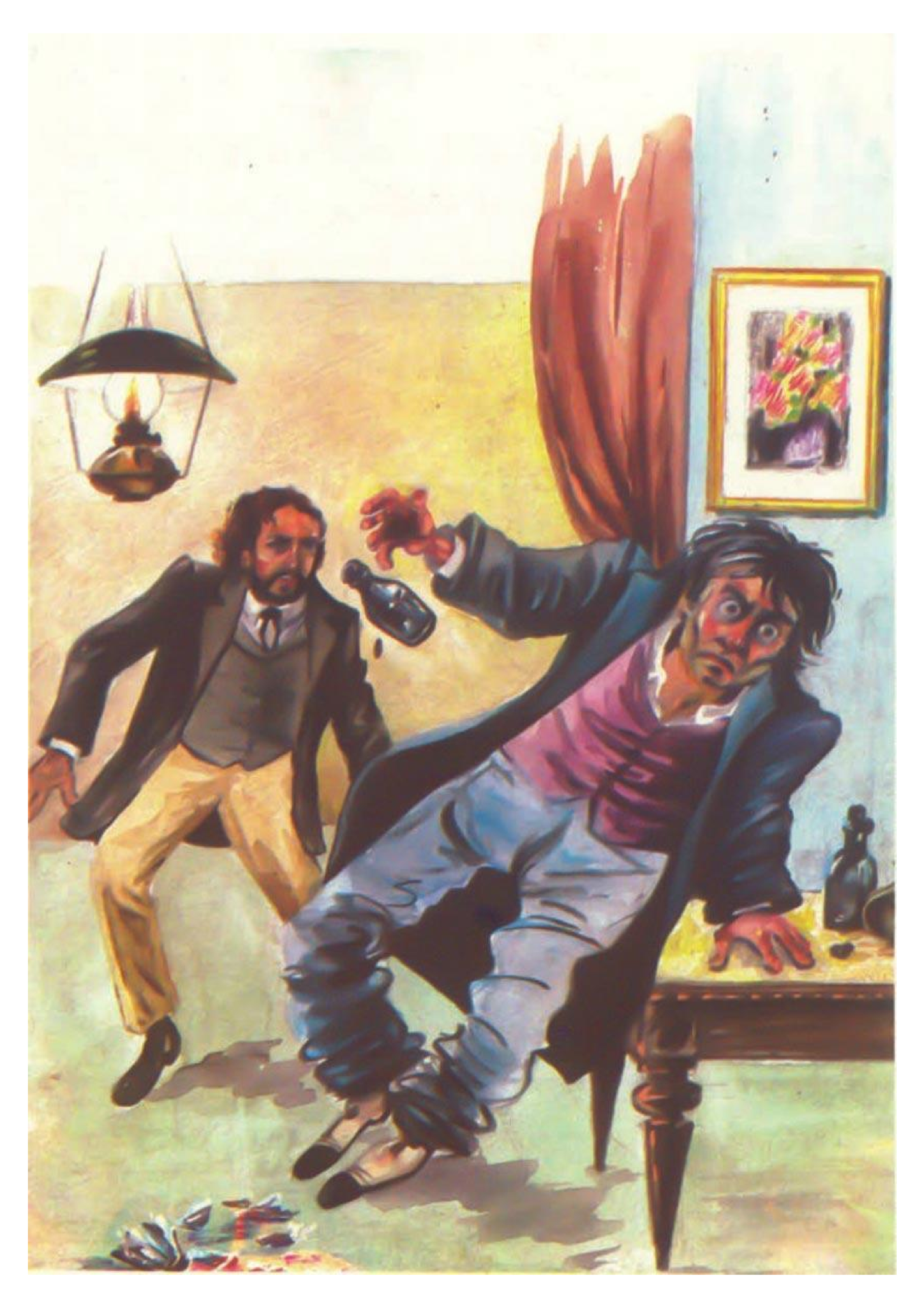
«اِتَّجَهَ نَحْوي بِابتِسامةٍ مُرْعِبةٍ، ثُمَّ نَزَعَ الغِطاءَ مِنْ فَوْقِ الدُّرْجِ. وَما إنْ رَأى مُحْتَوَياتِهِ حَتَّى شَهِقَ شَهْقةً عاليةً تَنُمُّ عَنِ ارتياحِهِ الشَّديدِ مِمّا زادَ مِنْ تَعَجُّبي. وَفي اللَّحْظةِ التّاليةِ قالَ لي في صَوْتٍ تَمَّتِ السَّيْطَرةُ عَلَيْهِ بِدَرَجةٍ كَبيرةٍ: (هَلْ لَدَيْكَ أُنبوبةُ اختِبارٍ زُجاجيَّةٌ؟)

«قُمْتُ مِنْ مَكاني بِشَيْءٍ مِنَ الجُهْدِ وَأَعْطَيْتُهُ ما طَلَبَ. فَشَكَرَني بإيماءةٍ

وَابتِسامةٍ، ثُمَّ كالَ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ السّائِلِ الأَحْمَرِ، وَأَضافَ إِلَيْها أَحَدَ المَساحيقِ فَنَجَم عَنْ ذَلِكَ خَليطٌ اتَّخَذَ في البِدايةِ لَوْنًا أَحْمَرَ ثُمَّ بَدَأَ لَوْنُهُ يَزْدادُ لَمَعانًا، وَأَخَذَتِ الفَقاقيعُ تَتَصاعدُ مِنْهُ وتُحْدِثُ بُخارًا. وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتْ تِلْكَ الفَقاقيعُ، وَتَحَوَّلَ المَحْلولُ إلى اللَّوْنِ الأُرْجُوانيِّ الغامِقِ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَوَّلُ بِبُطْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ إلى اللَّوْنِ الأَخْضَرِ الفاتِحِ.

«كانَ زائِري يُراقِبُ هَذِهِ التَّغَيُّراتِ بِشَغَفٍ، ثُمَّ ابتَسَمَ وَوَضَعَ الزُّجاجةَ عَلى المائدَةِ وَاستَدارَ نَحْوي وَأَخَذَ يُحَدِّقُ في وَجْهي، ثُمَّ قالَ: (وَالآنَ لِنَحْسِمِ المَوْقِفَ. هَلْ سَتكونُ عاقِلًا؟ هَلْ سَتَقْبَلُ نَصيحَتي؟ هَلْ سَتُوافِقُ عَلى أَنْ آخُذَ هَذِهِ الزُّجاجةَ مَعي، وَأَنْ أَخْرُجَ مِنْ بيتكَ دُونَ مَزيدٍ مِنَ الحَديثِ، أَمْ أَنَّ شَهْوةَ الفُضولِ قَدْ سَيْطَرَتْ عَلَيْكَ؟ فَكِّرْ قَبْلَ أَنْ تُجيبَ، فَسَأُنَفِّذُ ما تُقَرِّرُهُ. عَلَيْكَ أَنْ تَخْتارَ إِمّا أَنْ تَبْقى كَما كُنْتَ مِنْ قَبْلُ دُونَ أَنْ تُصْبِحَ أَكْثَرَ غِنًى أَوْ أَكْثَرَ حِكْمةً (اللَّهُمَّ إلّا إذا اعتَبَرْتَ ارتياحَكَ لِتَقْديمِ خِدْمةٍ لإنْسانٍ في كَرْبٍ شَديدٍ ضَرْبًا مِنْ غِنى الرُّوحِ) أَوْ أَنْ تَخْتارَ مَعْرِفةً جَديدةً وَطَريقًا جَديدًا لِلشُّهْرةِ وَالقُوَّةِ أُظْهِرُهُ لَكَ هُنا في هَذِهِ الغُرْفةِ في التَّوِّ وَاللَّحْظةِ - وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَشْهَدُ مُعْجِزةً يَرْتَعِدُ لِهَوْلِها الشَّيْطانُ نَفْسُهُ.)

«قُلْتُ لَهُ وَأَنا أَتَصَنَّعُ هُدوءًا لَمْ يَكُنْ عِنْدي مِنْهُ شَيْءٌ: (إِنَّ ما تَقولُهُ غامِضٌ كُلَّ الغُموضِ، ولَنْ تَعْجَبَ إذا قُلْتُ لَكَ إِنّي أَسْتَمِعُ إِلَيْكَ دُونَ أَنْ أُصَدِّقَ ما تَقولُ. وَقَدْ قُمْتُ اللَّيْلَةَ بِالعَديدِ مِنَ الخِدْماتِ الغَريبةِ مِمّا يَجْعَلُني غَيْرَ قادِرٍ عَلى التَّوَقُّفِ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إلى نِهايةِ المَطافِ.)



«قالَ: (حَسَنٌ يا لانْيُون. إنَّكَ تَذْكُرُ قَسَمَكَ لي. إنَّ ما سَأُريكَهُ الآنَ سِرٌّ بَيْنَنا. وَالآنَ، أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ دائِمًا بِأَكْثَرِ الآراءِ مادِّيَّةً وَتَزَمُّتًا؛ أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تُنْكِرُ وُجودَ دَواءٍ غَيْرِ مادِّيٍّ؛ أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تَسْخَرُ مِمَّنْ هُمْ أَعْلى مِنْكَ قَدْرًا، انْظُرْ ماذا تَرى؟)

«قَرَّبَ الرَّجُلُ الزُّجاجةَ مِنْ شَفَتَيْهِ وَشَرِبَ، وَأَعْقَبَتْ ذَلِكَ صَيْحَةٌ، ثُمَّ تَرَنَّحَ وَأَوْشَكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلى الأَرْضِ فَأَمْسَكَ المِنْضَدَةَ وَاتَّكَأَ عَلَيْها. وَكانَتْ عَيْناهُ تُحَمْلِقانِ، وَقَدِ احمَرَّتا احمِرارَ الدَّمِ، وَكانَتْ أَنْفاسُهُ تَتَتابَعُ طَويلةً عَميقةً.

وَبَدا لي وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَنَّ تَغَيُّرًا قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ، فَقَدْ بَدا كَأَنَّ مَلامِحَهُ قَدْ ذابَتْ وَتَبَدَّلَتْ. وفي اللَّحْظةِ التّاليةِ وَجَدْتُ نَفْسي أَقْفِزُ مِنْ مَكاني وَأَتراجَعُ إِلى أَنِ التَصَقَ ظَهْري بِالحائِطِ وَقَدْ رَفَعْتُ يَدَيَّ لِتَقِياني هَذا الرُّعْبَ، وَغَرِقْتُ في دُوّامةٍ مِنَ الخَوْفِ.

«صِحْتُ: (يا إلهي! يا إلهي!) عِدَّةَ مَرّاتٍ، فَهُناكَ أَمامَ عَيْنَيَّ، شاحِبُ الوَجْهِ مُتَرَنِّحٌ يُوشِكُ أَنْ يُغْمَى عَلَيْهِ وَقد رَفَعَ يَدَيْهِ أمامَهُ كَالأَعْمى يَتَحَسَّسُ طَريقَهُ – هُناكَ وَقَفَ الدُّكْتُور جيكِل وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عادَ مِنْ قَبْرِهِ.

«لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَسْتَرْجِعَ كُلَّ ما قالَهُ لي في السّاعةِ التّاليةِ وَأَنْ أَكْتُبَهُ هُنا. لَقَدْ رَأَيْتُ ما رَأَيْتُ، وَسَمِعْتُ ما سَمِعْتُ، وارتعدتْ لَه نَفْسي؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَعِنْدَما أُسائِلُ نَفْسي الآنَ، بَعْدَ أَنْ خَفَّ وَقْعُ الصُّورةِ على ناظِرَيَّ، هَلْ حَدَثَ هَذا حَقًّا؟ هل أُصَدِّقُهُ؟ لا أَجِدُ لِذَلِكَ جَوابًا. لَقَدِ اهتَزَّتْ حياتي مِنْ جُذورِها،

وَهَجَرَني النَّوْمُ، وَلازَمَني شُعورٌ بِالفَزَعِ طَوالَ ساعاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ. إنّي أَشْعُرُ بِأَنَّ أَيّامي مَعْدودةٌ، وَأَنّي سَأَموتُ لا مَحالةَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَسَوْفَ أَموتُ وَأَنا لا أُصَدِّقُ ما حَدَثَ. أَمّا بِالنِّسْبةِ لِذَلِكَ الشَّرِّ الأَسْودِ الَّذي كَشَفَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ لي فَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَتَذَكَّرَهُ دُونَ أَنْ أَرتَعِدَ فَزَعًا. وَأُريدُ أَنْ أُضيفَ نُقْطةً أُخْرى واحِدةً – يا أَتِرْسُون – وَفيها الكِفايةُ إذا أَمْكَنَكَ تَصْديقُها. إنَّ المَخْلوقَ الَّذي دَخَلَ بَيْتي في تِلْكَ اللَّيْلةِ كانَ معْروفًا بِاسم هايد كَما اعترَفَ لي بِذَلِكَ جيكِل نَفْسُهُ. وَكانَتِ الشُّرْطةُ تَبْحَثُ عَنْهُ في كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ البِلادِ بِاعتِبارِهِ قاتِلَ كارُو.

هاسْتِي لانْيُون»

القِصَّةُ كامِلةً كَما يَرْويها هِنْري جيكِل

وُلِدْتُ سنة – ١٨ في أُسْرةٍ غَنِيَّةٍ، وَمَنَحَني اللهُ مَواهِبَ وَقُدْراتٍ مُمْتازةً: فَأَنا أَميلُ بِطَبْعي إلى الكَدِّ والمُثابَرةِ، وَأُحِبُّ أَنْ أَحْظَى بِاحتِرامِ مَنْ أَعْرِفُهُمْ مِمَّنْ يَتَّسِمونَ بِالحِكْمةِ وَطيبةِ القَلْبِ. وَلِهَذا كُنْتُ واثِقًا أَنَّ مُسْتَقْبَلي سَيَكونُ مُشْرِقًا وَمَرْموقًا، وَالحَقيقةُ أَنَّ أَسْوَأَ رَذائِلي هِيَ مَيْلي الشَّديد إلى المَرَحِ. ورَغْمَ أَنَّ المَرَحَ يُعْتَبَرُ مَصْدرًا لِسَعادةِ الكَثيرينَ، فَقَدْ وَجَدْتُ صُعوبةً بالِغةً في أَنْ أُوفِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَغْبَتي القَوِيَّةِ في أَنْ أَرْفعَ رَأْسي عالِيًا أَمامَ النّاسِ، وَأَنْ يَكونَ مَظْهَري لَدَيْهِمْ وَقورًا كُلَّ الوَقار.

لِهَذا قُمْتُ بِإِخْفاءِ نَزْعَتي إلى المَرَحِ والسُّرورِ حَتَّى إِنَّني عِنْدما بَلَغْتُ سِنَّ الرُّشْدِ، وَبَدَأْتُ أَنْظُرُ حَوْلي لأَتَبَيَّنَ مَدى ما حَقَّقْتُهُ مِنْ تَقَدُّمٍ وَمَكانةٍ في المُجْتَمَعِ، وَجَدْتُ نَفْسي أَعيشُ حَياةً مُزْدَوَجةً. وكانَتْ خطاياي مِنَ النَّوْعِ الَّذي يَقْتَرِفُهُ الكَثيرونَ غَيْري دُونَ أَنْ يَشْعُروا بالحَرَجِ، بَلْ إِنَّ الكَثيرينَ مِنْهُمْ يَتَفاخَرونَ بها. وَلَكِنَّ القِيَمَ الَّتي وَضَعْتُها نُصْبَ عَيْنَيَّ جَعَلَتْني أَنْظُرُ إلى هَذِهِ الخَطايا والخَجَلُ يَمْلأُ جَوانِحي، وَأُحاوِلُ جاهِدًا أَنْ أُخْفيَها عَنْ أَعْيُنِ النّاسِ، وَكَأَنَّما أُعاني مِنْ شُعورٍ مَرَضِيٍّ بالإِثْمِ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ هَذَيْنِ الجانِبَيْنِ المُتناقِضَيْنِ في تَكْويني، فَقَدْ كُنْتُ صادِقًا مَعَ نَفْسي. وَكانَ لِكُلِّ جانِبٍ مِنْ هَذَيْنِ الجانِبَيْنِ وُجودُهُ الحقيقيُّ. فَقَدْ كُنْتُ أَجِدُ نَفْسي عِنْدَما أَنْزِعُ عَنّي رِداءَ التَّحَفُّظِ، وَأَنْدَفِعُ نَحْوَ الخَطيئةِ، كَما كُنْتُ أَجِدُها عِنْدَما أَعْمَلُ جادًّا في وَضَحِ النَّهارِ لأَنْشُرَ العِلْمَ، أَوْ أُخَفِّفَ عَنِ النّاسِ آلامَهُمْ وَأَحْزانَهُمْ.

عِنْدَما وَجَدْتُ نَفْسي في هذا الوَضْعِ بَدَأتُ أُجْري بَعْضَ الأَبْحاثِ المَعْمَليَّةِ عَسَى أَنْ تُلْقِيَ بَعْضَ الضَّوْءِ على هَذِهِ المُشْكِلةِ، وَبَدَأتُ أُدْرِكُ إدْراكًا عَميقًا لَمْ يَسبقْ أَنْ أَشارَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ، أَنَّ هَذا الجِسْمَ الَّذي نعيشُ بِهِ، والَّذي يَبْدو للعِيانِ صُلْبًا مُتماسِكًا إِنَّما هُوَ في حَقيقَتِهِ مُتَغَيِّرٌ وَكَأَنَّهُ الضَّبابُ.

لَقَدِ اكتَشَفْتُ بَعْضَ العَقاقيرِ الَّتي لها القُدْرةُ على هَزِّ هذا الجَسَدِ هَزًّا عَنيفًا كما تَهُزُّ الرِّيحُ العاصِفةُ جَوانِبَ الخَيْمةِ. بَلْ أَمْكَنَني كَذَلِكَ أَنْ أُرَكِّبَ عَقّارًا يَخْلَعُ عَنّي تِلْكَ القُوى الَّتي تَتَكَوَّنُ مِنْها نَفْسي، وَيُحِلُّ مَحَلَّها مَظْهَرًا آخَرَ وَهُوَ طَبيعيٌّ لِأَنَّهُ تَعْبيرٌ عَنْ تِلْكَ العَوامِلِ السُّفْليَّة المَكْبوتةِ في نَفْسي.

تَرَدَّدْتُ كثيرًا قَبْلَ أَنْ أَقومَ بِالتَّطْبيقِ العَمَليِّ لِهذِهِ الفِكْرةِ. وَكُنْتُ أَعرِفُ جَيِّدًا أَنّي أُخاطِرُ بِحَياتي، إِذْ إِنَّ مِثْلَ هَذا العَقّارِ القَويِّ المَفْعولِ، الَّذي بِإِمْكانِهِ هَزُّ ذَلِكَ الحِصْنِ الحَصينِ الَّذي تَتَكَوَّنُ مِنْهُ نَفْسي، خَليقٌ - إذا زيدَتْ مَقاديرُهُ زيادةً طفيفةً - أَنْ يُدَمِّرَ هَذا الجِسْمَ تَدْميرًا. لَكِنَّ الإِغراءَ الَّذي أَثارَهُ احتِمالُ وُصُولي إلى مِثْلِ هَذا الاكتِشافِ الرّائِع تَغَلَّبَ في النِّهايةِ عَلى مَخاوِفي. وَكُنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُ ذَلِكَ العَقّارَ مِنْ قَبْلُ، فقُمْتُ عَلى الفَوْرِ بِشِراءِ كَمِّيَّةٍ كَبيرةٍ مِنْ أَحَدِ الأَمْلاحِ الَّتي عَرَفْتُ مِنْ تَجاربي أَنَّهُ الشَّيْءُ الوَحيدُ المَطْلوبُ، وَقَدْ وَجَدْتُ ذَلِكَ المِلْحَ لَدَى إِحْدَى الشَّرِكاتِ الكيماويَّةِ. وَفي ساعةٍ مُتَأَخِّرةٍ مِنْ لَيْلةٍ مَلْعونةٍ قُمْتُ بِمَزْجِ العَقّارِ وَراقَبْتُهُ وَهُوَ يَغْلي وَيَنْفُثُ الدُّخانَ، وَعِنْدَما تَوَقَّفَتِ الفَقاقيعُ قُمْتُ بِشُرْبِهِ في شَجاعةٍ.

أَعْقَبَتْ ذلِكَ آلامٌ رَهيبةٌ، وَشَعَرْتُ كَأَنَّ عِظامي تُطْحَنُ، وَانتابَتْني نَوْباتٌ مِنَ القَيْءِ، وَفَزِعْتُ فَزَعًا شَديدًا. ثُمَّ بَدَأَتْ هَذِهِ الآلامُ تَزولُ سَريعًا وَأَفَقْتُ،

وَكَأَنّي أَفَقْتُ مِنْ مَرَضٍ طَويلٍ، وَعِنْدَئِذٍ شَعرتُ بِشَيْءٍ غَريبٍ يَجْري في دِمائي – شَيءٍ جَديدٍ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَصِفَهُ، لَذيذٍ إلى دَرَجةٍ لا يُمْكِنُ تَصْديقُها. شَعَرْتُ بِأَنّي أَصْغَرُ سِنًّا، وَأَخَفُّ حَرَكَةً وَأَكْثَرُ سَعادةً. عَرَفْتُ وَأَنا أَلْتَقِطُ أَوَّلَ نَفَسٍ مِنْ أَنْفاسِ هَذِهِ الحَياةِ الجَديدةِ أَنّي أَكْثَرُ خُبْثًا وَمَيْلًا إلى الشَّرِّ – عَشَرَةَ أَضْعافِ ما كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ خُبْثٍ وَمَيْلٍ إلى الشَّرِّ، وَأَنّي قَدْ بِعْتُ نَفْسي لِتُصْبِحَ مُسْتَعِدَّةً لِذَلِكَ الشَّرِّ الكامِنِ في أَعْماقِها. إنَّ هَذا الخاطِرَ قَدْ زادَ مِنْ شُعُوري بِالقُوَّةِ وَمِنْ نَشْوَتي وَسُروري. وَعِنْدَما مَدَدْتُ يَدَيَّ في سُرورٍ وَبَهْجةٍ لاحَظْتُ أَنَّني أَصْبَحْتُ أَصْغَرَ حَجْمًا.

كانَ الأَمَلُ وَالشُّعورُ بِالنَّصْرِ يَمْلآنِ جَوانِحي، وَقَرَّرْتُ أَنْ أُغامِرَ بِالذَّهابِ إلى غُرْفةِ نَوْمي وَأَنا في شَكْلِيَ الجَديدِ. وَلِهَذا عَبَرْتُ الفِناءَ، وَتَسَلَّلْتُ كالغَريبِ في طُرُقاتِ بَيْتي وَعِنْدَما وَصَلْتُ إلى غُرْفَتي شاهَدْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ شَكْلَ إدْوارْد هايد.

لَمْ أَمْكُثْ أَمامَ المِرْآةِ إلّا دَقيقةً واحِدةً، إذْ مِنَ الواجِبِ أَنْ أَقومَ بِالتَّجْرِبةِ الثّانيةِ وَالنِّهائيَّةِ، وَهِيَ التَّجْرِبةُ الَّتي سَوْفَ تُظْهِرُ لي هَلْ فَقَدْتُ نَفْسي دُونَ رَجْعةٍ؟ وَهَلْ يَجِبُ أَنْ أَهْرُبَ قَبْلَ طُلوعِ النَّهارِ مِنْ ذَلِكَ البَيْتِ الَّذي لَمْ يَعُدْ مِلْكًا لي؟ لِهَذا أَسْرَعْتُ بِالرُّجوعِ إلى غُرْفةِ مَعْمَلي، وأَعْدَدْتُ الشَّرابَ مَرَّةً ثانيةً وَشَرِبْتُهُ. وَعِنْدَئِذٍ عانَيْتُ لِلْمَرَّةِ الثّانيةِ مِنْ آلامٍ أَشْبَهَ بِآلامِ المَوْتِ، وَرَجَعْتُ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخرى أَحْمِلُ شَخْصيَّةَ هِنْري جيكِل وَشَكْلَهُ وَمَلامِحَ وَجْهِهِ.

وَصَلْتُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ إلى مُفْتَرَقِ طُرُقٍ خَطيرٍ. فَلَوْ أَنَّني كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إلى اكتِشافي هَذا نَظْرَةً أَكْثَرَ نُبْلًا، وَلَوْ أَنَّني كُنْتُ قَدْ غامَرْتُ بِالتَّجْرِبَةِ مُتَأَثِّرًا بآمالٍ طَيِّبَةٍ خَيِّرَةٍ، لَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ، وَخَرَجْتُ بَعْدَ آلامِ المَوْتِ والوِلادةِ مَلاكًا لا شَيْطانًا. لا يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ إنَّ هذا الدَّواءَ في حَدِّ ذاتِهِ شَيْطانيٌّ أَوْ مَلائِكِيٌّ. إنَّ كلَّ ما قامَ بِهِ هُوَ أَنَّهُ حَطَّمَ بابَ السِّجْنِ الَّذي تَقْبَعُ فيهِ شَخْصِيَّتي، فانطَلَقَتْ مِنْهُ تِلْكَ القُوى الَّتي كانَتْ سجينةً داخِلَهُ، وَكانَتْ قُوى الفَضيلةِ عِنْدي في سُباتٍ آنذاك. أَمّا قُوى الشَّرِّ الكامِنةُ لَدَيَّ فَقَدْ أَيْقَظَتْها الرَّغْبَةُ في النَّجاحِ فَأَسْرَعَتْ بانتِهازِ المَوْقِفِ. وكانَ إدْوارْد هايِد هُوَ ما قَذَفَتْ بِهِ إلى الوُجودِ. هَكَذا أَصْبَحَ لي شَكْلان وشَخْصيَّتانِ مُخْتَلِفَتانِ: إحْداهُما شَخْصيَّةٌ شِرِّيرةٌ بِصُورةٍ كاملةٍ، والأُخْرى شَخْصِيَّةُ هِنْري جيكِل الَّتي كانَتْ خَليطًا غَريبًا مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ، والَّتي يَئِسْتُ مِنْ أَنْ أُصْلِحَ ما اعوَجَّ مِنْها. هَكذا اتَّجَهَ بي قَدَري اتِّجاهًا كامِلًا إلى ما هُوَ أَسْوَأ.

لَقَدْ ظَلَّتْ عِنْدي - حَتَّى في ذَلِكَ الوَقْتِ - رَغْبَةٌ في الدِّراسةِ وَالتَّجْريبِ وَقَدِ استَغَلَّتْ قُوايَ الجَديدةُ هَذِهِ الرَّغْبَةَ لِتُواصِلَ إغْرائي حَتَّى وَقَعْتُ أسيرًا لَها. إنَّ مُجَرَّدَ شُرْبي لِهَذِهِ الكَأْسِ سَوْفَ يُمَكِّنُني مِنْ أَنْ أَخْلَعَ عَنّي جِسْمَ الطَّبيبِ المَشْهورِ، وَأَلْبَسَ جِسْمَ إدْوارْد هايِد وَكَأَنَّهُ عَباءةٌ ثَقيلةٌ.

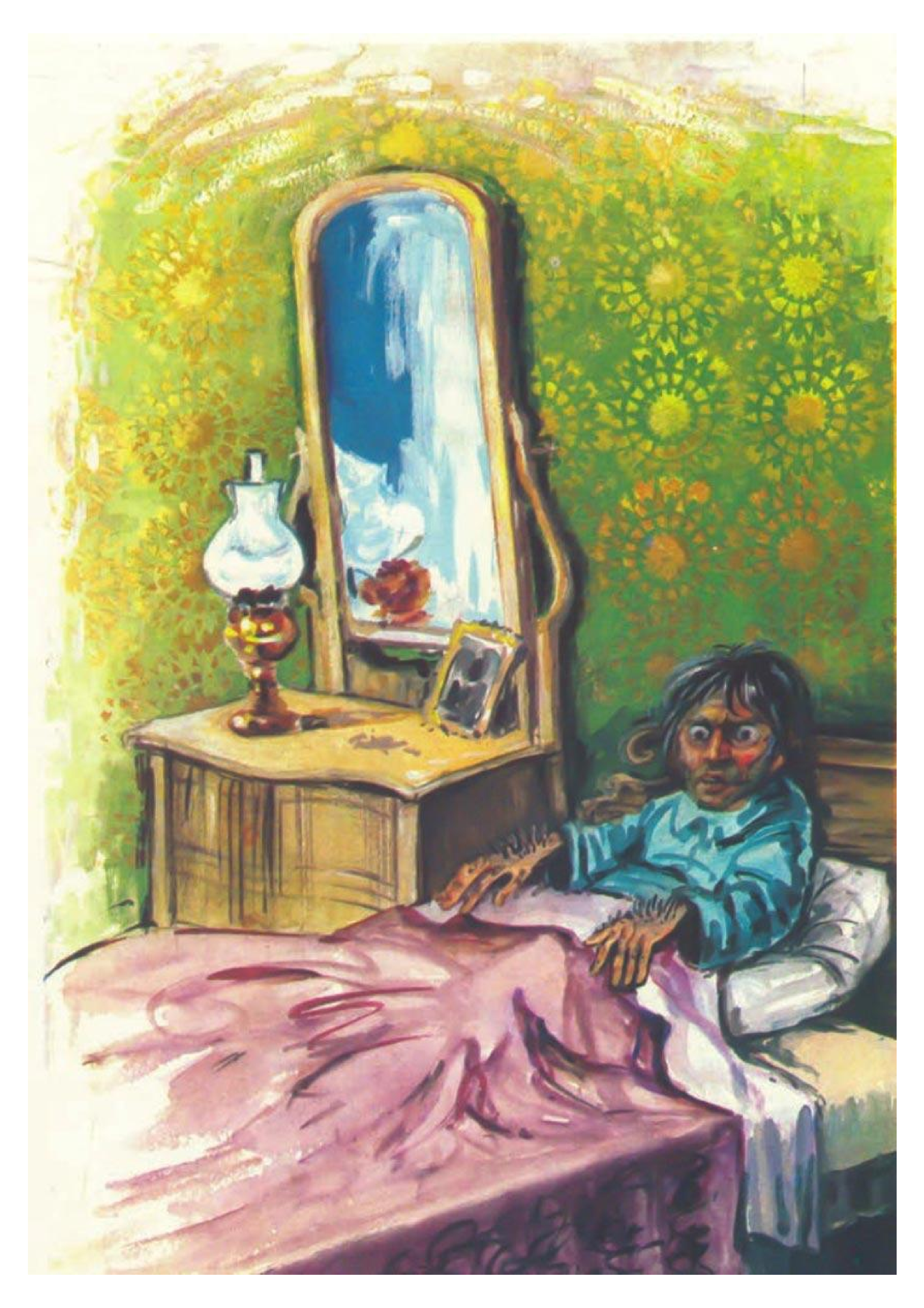
جَعَلَتْني هَذِهِ الفِكرةُ أَبْتَسِمُ، وَبَدَتْ لي في ذَلِكَ الوَقْتِ مُسَلِّيةً مُغْرِيةً. فَأَعْدَدْتُ العُدَّةَ لِتَنْفيذِها بِعِنايةٍ بالِغةٍ، لِذلِكَ اشْتَرَيْتُ ذَلِكَ المَنْزِلَ في حَيِّ سُوهُو وَقُمْتُ بتأثيثِهِ، وَهُوَ المَنْزِلُ الَّذي ذَهَبَتْ إلَيْهِ الشُّرْطَةُ باحِثةً عَنْ هايد.

كما أَنّي استَخْدَمْتُ امرَأَةً أَعْرِفُ أَنَّها كَتومةٌ لا تُذيعُ السِّرَّ، وأَنَّها مَعْدُومةُ الضَّمير، وَجَعَلْتُها مَسْئولةً عن إدارةِ شُؤونِ ذَلِكَ البَيْتِ.

مِنْ ناحيةٍ أخْرى أَعْلَنْتُ لِخَدَمي أنَّ هناك رَجُلًا يُدْعى مِسْتَر هايد، وصَفْتُ لَهُمْ شَكْلَهُ، وَقُلْتُ لَهُمْ إنَّ لَهُ الحُرِّيَّةَ التّامَّةَ والسُّلْطةَ الكامِلةَ في بَيْتي. بَلْ إنَّني زُرْتُ البَيْتَ في صُورةِ مِسْتَر هايد، وَجَعَلْتُ الخَدَمَ يأْلَفونَ رُؤْيَتي فيهِ. وَقُمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِكِتابةِ تِلْكَ الوَصِيَّةِ الَّتي اعتَرَضْت عَلَيْها بِشِدَّةٍ، وَكانَ هَدَفي مِنْ هَذِهِ الوَصِيَّةِ أَنَّهُ إذا حَدَثَ لي شَيْءٌ وأنا في صُورةِ دُكْتُور جيكِل فَسَيَكُونُ في وُسْعي أَنْ أَتَشَكَّلَ في صُورةِ مِسْتَر هايد دُونَ أَنْ أَخسرَ شَيْئًا. وَبَعْدَ أَنْ أَمَّنْتُ نَفْسي مِنْ جَميعِ النَّواحي – كما كُنْتُ أَعْتَقِدُ – بادَرْتُ بالاستِفادةِ مِنْ مَوْقِفي الغَريبِ هَذا.

كانَ النّاسُ فيما مَضى يَسْتأجرونَ مِنَ الأشْرارِ البائِسينَ مَنْ يَقومونَ بِارتِكابِ الجَرائِمِ لَهُمْ. أَمّا أنا فَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقومُ بارتِكابِ هَذِهِ الجَرائِمِ بِنَفْسِهِ وَمِنْ أَجْلِ مُتْعَتِهِ الخاصَّةِ. لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقْدِرُ على السَّيْرِ أَمامَ أَعْيُنِ النّاسِ مُتَمَتِّعًا بِمَحَبَّتِهِمْ وتَقْديرِهِمْ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ في لَحْظةٍ واحدةٍ إلى شَخْصٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ يَنْزِعَ عَنْهُ هَذا الرِّداءَ، كَما يَنْزِعُ التِّلْميذُ زِيَّهُ المَدْرَسيَّ وَيَنْغَمِسُ في خِضَمِّ الحُرِّيَّةِ.

كان هَذا التَّحَوُّلُ بِالنِّسْبة لي شَيْئًا مأمونًا لا خَطَرَ مِنْهُ على الإطْلاقِ، لأنَّ عُنْصُر التَّنَكُّرِ كانَ كامِلًا. فإذا حَدَثَ أَنْ قامَ هايد بارتِكابِ شَيْءٍ فما عَلَيَّ إلّا أَنْ أَهْرُبَ إلى مَعْمَلي، وَبَعْدَ ثانيةٍ أو ثانِيَتَيْنِ أَكُونُ قَدْ مَزَجْتُ الشَّرابَ الَّذي كُنْتُ أَحْتَفِظُ بِهِ دائِمًا مُعَدًّا وَشَرِبْتُهُ. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَلاشى إدْوارد هايد مِنَ



الوُجودِ كَما يَتَلاشى بُخارُ الماءِ الَّذي يَقَعُ عَلى صَفْحَةِ المِرْآةِ في يَوْمٍ بارِدٍ. وَهُناكَ - بَدَلًا مِنْ هايد - سَوْفَ تَجِدُ شَخْصًا آخَرَ يَجْلِسُ بِهُدوءٍ في مَنْزِلِهِ مُنْهَمِكًا في قِراءَتِهِ. وَلَوْ حَدَثَ وَوَجَّهْتَ إِلى هَذا الشَّخْصِ أَيَّ شُبْهَةٍ أَوِ اتِّهامٍ لَضَحِكَ مِلْءَ شِدْقَيْهِ سُخْرِيَةً واستِهْزاءً بِمِثْلِ هَذا الاتِّهامِ.

لا أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِإِسْهابٍ عَنِ الشَّرِّ الَّذي كُنْتُ أَميلُ إِلى القِيامِ بِهِ. ولكِنّي أُريدُ هُنا أَنْ أُشيرَ إِلى تِلْكَ الإِنْذاراتِ الَّتي تَوالَتْ عَلَيَّ مُشيرَةً إِلى أَنَّ العِقابَ سَوْفَ يَأْتي خُطْوَةً خُطْوَةً.

وَقَعَتْ ذاتَ لَيْلَةٍ حادِثَةٌ لَمْ تَكُنْ لَها عَواقِبُ وَخيمَةٌ، وَلِهَذا فَسَوْفَ أَكْتَفي بِمُجَرَّدِ الإِشارَةِ إِلَيْها. لَقَدْ عامَلْتُ فَتاةً صَغيرَةً بِقَسْوَةٍ مِمّا أَثارَ غَضَبَ شَخْصٍ كانَ يَسيرُ في الطَّريقِ - وَقَدْ عَرَفْتُ أَخيرًا أَنَّ هَذا الشَّخْصَ هُوَ قَريبُكَ. وَسَرْعانَ ما انْضَمَّ إِلَيْهِ الطَّبيبُ وَأُسْرَةُ الفَتاةِ، وَكانَتْ هُناكَ فَتْرَةٌ حَرِجَةٌ خَشيتُ فيها عَلى حَياتي. وفي النِّهايَةِ حاوَلَ إِدْوارْد هايد أَنْ يُرْضِيَهُمْ فَجاءَ بِهِم إِلى بابِ المَعْمَلِ وَأَعْطاهُمْ شيكًا عَلَيْهِ تَوْقيعُ هِنْري جيكِل. وَلَكِنّي تَجَنَّبْتُ بِسُهولَةٍ حُدوثَ مِثْلِ هَذا الخَطَإِ في المُسْتَقْبَلِ بِأَنْ فَتَحْتُ حِسابًا آخَرَ في أَحَدِ البُنوكِ الأُخْرى باسم إِدْوارْد هايد، وغَيَّرْتُ أُسْلوبَ خَطّي فَجَعَلْتُهُ يَميلُ إِلى الخَلْفِ، وَبِذَلِكَ أَعْطَيْتُ إِدْوارد هايد تَوْقيعًا خاصًّا بِهِ وَهَكَذا اعتَقَدْتُ أَنّي أَصْبَحْتُ بَعيدًا عَنْ مُتَناوَلِ يَدِ القَدَرِ.

حَدَثَ قَبْلَ مَصْرَعِ سِير دانفِرْز بِشَهْرَيْنِ أَنْ خَرَجْتُ في إِحْدى مُغامَراتي، وَرَجَعْتُ في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ، ثُمَّ استَيْقَظْتُ في اليَوْمِ التّالي وَأَنا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ غَريبٍ يَسْري في دَمي. فَنَظَرْتُ حَوْلي دُونَ أَنْ أَهْتدي لما حَدَثَ. وَعَبَثًا

حاوَلْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ على ما يُحيطُ بي مِنْ أثاثٍ أنيقٍ، وَمِنْ سَقْفٍ عالٍ في غُرْفةِ نَوْمي، ومِنَ نُقوشٍ عَلى السَّتائِر، بَلْ على شَكْلِ الفِراشِ الَّذي أَسْتَلْقي عَلَيْهِ. لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِشُعورٍ غامِضٍ يَقولُ إنّي لستُ في المَكانِ الَّذي اعتَدْتُ أَنْ أَكونَ فيهِ، وإنّي استَيْقَظْتُ في مَكانٍ غَريبٍ عَنّي، وإنّي لَسْتُ في تِلْكَ الغُرْفةِ الصَّغيرةِ في حَيٍّ سُوهو حَيْثُ اعتَدْتُ أَنْ أنامَ في شَكْلِ إدْوارْد هايد. فابتَسَمْتُ وَبَدَأْتُ أسائِلُ نَفْسي في تَكاسُلٍ لماذا أَشْعُرُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ بِهَذا الشُّعور الغَريبِ، ثُمَّ غَلَبَني النُّعاسُ مَرَّةً أُخْرى واستَغْرَقْتُ في النَّوْمِ ثانيةً. وَخِلالَ فَتْرةٍ من فَتَراتِ اليَقظةِ أَثْناءَ انشِغالي بِهَذِهِ الخَواطِرِ وَقَعَتْ عَيْناي على يَدَيَّ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ يَدَيْ هِنْري جِيكِل كانتا كَبيرَتَيْنِ قَوِيَّتَيْنِ، بَيْضاوَيْنِ، مُتناسِقَتَيْنِ خَليقَتَيْنِ بِطَبيبٍ. أمّا اليَدانِ اللَّتانِ رَأَيْتُهُما آنذاكَ بِوُضوحٍ في ضَوْءِ المِصْباحِ فَقَدْ كانتا نَحيفَتَيْنِ ناتِئَتَيْنِ تَبْرُزُ مِنْهما العِظامُ، قاتِمَتَي اللَّوْنِ في شُحوبٍ، وَعَلَيْهِما شَعْرٌ أَسْوَدُ كثيفٌ. لَقَدْ كانتا يَدَيْ إدْوارْد هايِد.

وَجَدْتُ نَفْسي أُحَمْلِقُ فيهما لِمُدَّةِ نِصْفِ دَقيقةٍ، وَأنا مُسْتَغْرِقٌ في تَعَجُّبٍ واستِغْرابٍ، وَلَكِنْ سَرْعانَ ما انتابَني الفَزَعُ فَجْأَةً وَكَأَنَّما قَدْ وَقَعَتِ الواقعةُ – فَقَفَزْتُ مِنْ سَريري واندفَعْتُ نَحْوَ المِرْآة. وَعِنْدَما نَظَرْتُ إلى صُورَتي فيها أَوْشَكَ دَمي أَنْ يَجْمُدَ – نَعَمْ، لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى فِراشي وأنا هِنْري جِيكِل وَاسْتَيْقَظْتُ مِنْهُ وَأَنا إدْوارد هايد. فَأَخَذْتُ أُحادِثُ نَفْسي كَيْفَ حَدَثَ هَذا؟ ثُمَّ انتابَني فَزَعٌ جَديدٌ وَأنا أَتَساءَلُ هَلْ مِنْ سَبيلٍ للعلاجِ؟ لَقَدْ حَدَثَ هذا في الصَّباحِ، وَكان الخَدَمُ قَدِ استَيْقَظوا، كما كانَتْ كُلُّ عَقاقيري في غُرْفة المَعْمَلِ، وَكانَ الطَّريقُ إِلَيْها طويلًا، فَقَدْ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَهْبِطَ مَجْموعَتَيْنِ مِنَ

دَرَجاتِ السُّلَّمِ، وَأَصِلَ إلى الدِّهْليزِ الخَلْفيِّ، وَأَعْبُرَ الفِناءَ لأَصِلَ إلى المَعْمَلِ وَأَدخُلَ غُرْفَتَهُ. رُبَّما كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أُغَطِّيَ وَجْهي خِلالَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ، ولكن ما جَدْوى ذَلِكَ إذ لَيْسَ في وسعي أن أخْفي ما حَدَثَ مِنْ تَغييرٍ في طُول قامَتي وفي أَجْزاءِ جِسْمي. وَعِنْدَئِذٍ جاءَني خاطِرٌ سُرِرْتُ له وارتَحْتُ وانزاحَ مَعَهُ هَمّي وغَمّي. إنَّ الخَدَمَ قد أصْبَحوا مُعْتادين على رؤيَتي في صُورةِ إدْوارد هايد. فَأَسْرَعْتُ بارتداءِ مَلابِس تُناسبني بِقَدْرِ الإمْكانِ وأنا في حَجْمي الجَديد، ثَمَّ سِرْتُ مُسْرِعًا داخلِ البَيْتِ. وكانَ الخَدَمُ يَنْظُرونَ إلَيَّ في دَهْشةٍ ويَتَراجَعونَ وَهُمْ يَرَوْنَ مِسْتَر هايد في مِثْلِ هَذِهِ السّاعةِ المُبَكِّرةِ وفي تِلْكَ المَلابِسِ الغرَيبةِ. وبَعْدَ دَقائقَ عَشْرٍ كانَ دُكْتُور جيكِل قَدْ رَجَعَ إلى شَكْلِهِ الأَصْليِّ، وَجَلَسَ مَهْمومًا يحاولُ أَنْ يَتَناوَلَ طَعامَ الإفْطارِ.

لَمْ تَكُنْ لي شَهِيَّةٌ للطَّعامِ. إنَّ هذا التَّحَوُّلَ الغَريبَ يَخْتَلِفُ كثيرًا عمّا كان يَحْدُثُ لي فيما مَضَى. إنَّهُ إنْذارٌ لي بِأَنَّ العِقابَ قَريبٌ. وَبَدَأْتُ أفَكِّرُ بِصُورةٍ أَكْثَرَ جِدِّيَّةً مِنْ ذي قَبْلُ في النَّتائِجِ المُحْتَمَلةِ لِكِياني المُزْدَوَجِ هَذا. إنَّ نِصْفي الشِّريرَ قَدِ ازدادَ مرانًا في الفَتْرةِ الأخيرةِ، وازدادَ نَماءً، وَبَدا لي كما لو أَنَّ جِسْمَ إدْوارْد هايد قَدْ أَصْبَحَ أَكْبرَ حَجْمًا مِمّا كان عَلَيْهِ، وَأَنَّني كُلَّما ارتَدَيْتُ ذَلِكَ الجِسْمَ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ قُوَّةً.

هَكذا بَدَأتُ أَشْعُرُ بِخَطَرٍ قادِمٍ، وَهُوَ أَنَّ التَّوازُنَ القائِمَ في طَبيعَتي المُزْدَوَجةِ سَوْفَ يَخْتَلُّ، ممّا يُهَدِّدني بأَنْ تُصْبِحَ شَخْصِيَّةُ إدْوارد هايد هِيَ شَخْصِيَّتي الدّائِمةَ. وَلَمْ يَكُنْ مَفْعولُ الدَّواءِ مُتَساوِيًا في كُلِّ الأَوْقاتِ، فَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَخْفَقَ مَفْعولُهُ إخفاقًا تامًّا، مِمّا دَفَعَني مَرَّةً إلى أَنْ أضاعِفَ

الكَمِّيَّة، بَلْ حَدَثَ مَرَّةً أن تَناوَلتُ ثَلاثةَ أضْعافِ الكَمِّيَّةِ، رَغْمَ أنَّ في ذَلِكَ مُخاطرةً بالغةً بِحَياتي.

مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ أصْبَحَ هذا المَوْضوعُ مَصْدَرَ هَمّي وَقَلَقي. وَقَدْ أَصْبَحَ شُغْلي الشّاغِلَ بَعْدَ حادِثَةِ ذَلِكَ الصَّباحِ. إنَّ وضعي قد تَغَيَّر، ففي بداية الأمْرِ كانَ مِنَ الصَّعْبِ أن أَتَخَلَّصَ مِنْ جِسْمِ جيكل وألبسَ جِسْم هايد – أمّا في الآوِنةِ الأخيرةِ فقد تَحَوَّلَ الأمرُ تَدْريجيًّا إلى العَكْسِ. وهكذا بدا أنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُشيرُ إلى هَذِهِ الحقيقةِ، وأَعْني بها أَنَّني قَدْ بَدَأْتُ أَفْقِدُ سَيْطَرَتي على نِصْفي الأَصْليِّ الخَيِّرِ بِصُورةٍ تَدْريجيَّةٍ بَطيئةٍ، وأَنَّني قَدْ بَدأْتُ أَنْدَمِجُ انْدِماجًا كامِلًا مَعَ نِصْفي الثّاني الشِّرِّيرِ.

شَعَرْتُ في تِلْكَ اللَّحظةِ أنَّ عَلَيَّ أَنْ أَخْتارَ بَيْنَ هذَيْنِ النَّقيضَيْنِ. كانَتْ طَبيعَتاي تَشْتَرِكانِ في القُدْرةِ على التَّذَكُّرِ – أمّا فيما عَدا ذَلِكَ مِنَ القُدْراتِ فَقَدْ كانَ تَوْزيعُها على الطَّبيعَتَيْنِ غَيْرَ مُتساوٍ. لَقَدْ كانَ جيكِل يُشارِكُ هايد في التَّمَتُّعِ بِمَسَرّاتِهِ ومخاطَراتِهِ، أمّا هايد فَلَمْ يُعِرْ جيكِل أَدْنَى اهتِمامٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَذَكَّرُهُ إلّا كما يتَذَكَّرُ اللِّصُّ الكَهْفَ الذي يَخْتَفي فيه. فَلَوْ أَنَّني اخترْتُ جيكِل لَكانَ مَعْنى ذَلِكَ أَنْ أفقِدَ تِلْكَ المُتَعَ الَّتي طالما كُنْتُ أَهْفو إِلَيْها وَأُذْعِنُ لَها سِرًّا، والَّتي بَدَأْتُ في الأَيَّامِ الأخيرةِ أُكْثِرُ مِنَ الاسْتِمْتاعِ بها.

أَمّا إذا اختَرْتُ هايد فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْني أَنْ أَفْقِدَ العَديدَ مِنَ الاهْتِماماتِ وَالآمالِ وَأَنْ أُصْبِحَ في غَمْضةِ عَيْنٍ وإلى الأَبَدِ شَخْصًا مُحْتَقَرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ صديقٍ. رُبَّما بَدَتِ المُعادَلةُ غَيْرَ مُتَساوِيَةٍ، وَلَكِنْ كانَ هُناكَ اعْتِبارٌ آخَرُ في الميزانِ. فَبَيْنَما نَجِدُ أَنَّ جِيكِل يُقاسي بِمَرارةٍ مِنْ أَجْلِ احتِفاظِهِ باتِّزانِهِ

واحترامِ النّاسِ لَهُ، نَجِدُ أنَّ هايد لا يُدْرِكُ عَلى الإطْلاقِ ما فَقَدَهُ مِنَ اتِّزانٍ واحتِرامٍ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ وَضْعي كانَ غريبًا فإنَّهُ يُمْكِنُ القَوْلُ إنَّ هذا الصِّراعَ قَديمٌ وَطبيعيٌّ، وَإنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بظُهُور الإنْسانِ على وَجْهِ الأرْضِ. وَقَدْ حَدَثَ بالنِّسْبة لي ما يَحْدُثُ بالنِّسْبةِ لِلْغالبيَّةِ العُظْمَى مِنْ رِفاقي، وهو أَنَّني اخْتَرتُ النِّصْفَ الخيِّرَ، ولكِنْ لمْ تكُنْ لي القُدْرةُ عَلى المُحافَظَةِ عَلَيْهِ.

نَعَمْ، لَقَدِ اخْتَرتُ أنْ أظَلَّ ذَلِكَ الطَّبيبَ الوَقورَ السّاخِطَ، الَّذي يُحيطُ بِهِ الأَصْدِقاءُ وَتَهْفو نَفْسُه لتَحْقيقِ العَديدِ مِنَ الآمالِ الصّادِقةِ. وَوَدَّعْتُ بعزيمةٍ قَوِيَّةٍ ما كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِهِ وأنا في صورَةِ هايد مِنْ حُرِّيَّةٍ وَشَبابٍ وحَرَكةٍ خَفيفةٍ ودِماءٍ فائِرةٍ وَمَسَرّاتٍ خَفيَّةٍ. مِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّ اخْتِيارِي هَذَا لَمْ يَكُنْ كامِلًا، إذْ إنَّني لَمْ أَتَخَلَّصْ مِنْ بَيْتي المَوْجودِ في حَيِّ سُوهُو، وَلَمْ أُتْلِفْ مَلابِسَ إدْوارد هايد، بَلْ تَرَكْتُها في غُرْفَةِ المَعْمَلِ وَكَأَنَّها علَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدادِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ مَكَثْتُ صادِقَ العَزْمِ لمدَّةِ شَهْرَيْنِ كامِلَيْنِ، كُنْتُ خِلالَهُما أَعيشُ حَياةَ تَقَشُّفٍ لمْ يَسْبِقْ لي أنْ مارَسْتُ مَثيلًا لَها. وَكُنْتُ خِلالَ هَذِهِ الفَتْرةِ أَنْعَمُ بِراحَةِ الضَّميرِ، ولَكِنَّ مُرورَ الوَقْتِ بَدَأَ يُحْدِثُ أَثَرَهُ ويُخفِّفُ ما عانَيْتُ مِنَ انْزِعاجٍ، وَبَدَأَ ارْتِياحُ الضَّميرِ يُصْبِحُ أمرًا طَبيعِيًّا، ثُمَّ بَدَأَتِ الآلامُ والشَّهَواتُ تُعَذِّبُني وكأَنَّما كانَ هايِد يُناضِلُ مِنْ أجْلِ الحُرِّيَّةِ. وَأَخيرًا، وفي ساعةٍ مِنْ ساعاتِ الضَّعْفِ مَزَجْتُ العَقّارَ وشَرِبْتُهُ.

لَقَدْ ظَلَّ الشَّيْطانُ حينًا داخِلي لِفَتْرةٍ طَويلَةٍ، وعِنْدَما أُطْلِقَ سَراحُهُ خَرَجَ وَهُوَ يَزأَرُ. لَقَدْ شَعَرْتُ بَعْدَ أنْ شَرِبْتُ العقّارَ بِنَزْعةٍ لِلشَّرِّ أَكْثَرَ عُنْفًا وأَكْثَرَ

تَحَرُّرًا مِنْ ذي قَبْلُ. رُبَّما كانَتْ تِلْكَ النَّزْعةُ هِيَ الَّتي جَعَلَتْني أضيقُ صَدْرًا بِتلْكَ الكَلِماتِ المُهَذَّبةِ الَّتي كانَ يَتَحَدَّثُ بِها سِير دانڤرز كارُو، وَلَكِنَّ الخُضوعَ للإغْراءِ - مَهْما كانَ طَفيفًا - يَعْني السُّقوطَ. وَعَلى الفَوْرِ استَيْقَظَ الشَّيْطانُ داخِلي وَثارَ غاضِبًا، وَانْهَلْتُ عَلى الرَّجُلِ ضَرْبًا بِعَصاي دُونَ أَنْ يُبْدِيَ أَيَّةَ مُقاوَمةٍ، وكُنْتُ أُحِسُّ بِنَشْوَةٍ إبْليسِيَّةٍ. وَكانَتْ كُلُّ ضَرْبةٍ أَكيلُها لَهُ تَبْعَثُ في نَفْسي مَزيدًا مِنَ البَهْجةِ والسُّرورِ. وَلَمْ أَتَوَقَّفْ إلّا بَعْدَ أَنْ أَخَذَ التَّعَبُ مِنّي كُلَّ مَأْخَذٍ، وَكانَتْ سَوْرةُ غَضَبي قَدْ وَصَلَتْ آنذاكَ إلى ذِرْوتِها. وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بالخَوْفِ بَعْدَ أَنْ أدْرَكْتُ أنَّ حَياتي قَدْ أَصْبَحَتْ في خَطَرٍ، فَأَسْرَعْتُ بالهَرَبِ مِنْ مكانِ الحادِثِ مُنْتَشِيًا وَمُرْتَعِدًا في آنٍ واحِدٍ. لَقَدْ أَشْبَعْتُ شَهْوَتي إلى الشَّرِّ وَزِدْتُ مِنْ سُعارِها.

جَرَيْتُ مُسْرعًا إلى بَيْتي في سُوهُو، وقُمْتُ بإحْراقِ أَوْراقي حَتَّى أَتَأَكَّدَ مِنْ أنَّ أَحَدًا لَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيَّ، ثُمَّ سِرْتُ إلى مَعْمَلي مُخْتَرِقًا عَدَدًا مِنَ الشَّوارِعِ المُضاءَةِ بالمصابيحِ. وعِنْدَما قامَ هايد بمَزْجِ الدَّواءِ كان يُغَنّي مُبْتَهِجًا، ثُمَّ شَرِبَ الدَّواءَ وَكَأَنَّهُ يَشْرَبُ نَخبَ الرَّجُلِ الَّذي ماتَ.

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ خَفَّتِ الآلامُ الَّتي يَشْعُرُ بِها في أَعْقابِ شُرْبِه الدَّواءَ كانَ هِنْري جِيكِل راكِعًا علَى رُكْبَتَيْه ودُموعُ النَّدَمِ تَنْسابُ مِنْ عَيْنَيْهِ رافِعًا يَدَيْهِ إلى اللهِ راجيًا أنْ يَغْفِرَ لَهُ. وَكُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَنَّني صِحْتُ وَصَرَخْتُ وَحاوَلْتُ بالدُّموعِ والدُّعاءِ أنْ أمْحُوَ أَثَرَ تِلْكَ الصُّورِ والأَصْواتِ المُخيفةِ الَّتي كانَتْ ذاكِرَتي تَزْخَرُ بِها. ولَكِنَّ السِّرَّ كانَ يُطِلُّ بوجْهِهِ القَبيحِ على نَفْسي عِنْدَ

كُلِّ صَلاةٍ، وَسَرْعانَ ما أَعْقَبَ هَذا الحُزْنَ شُعورٌ بالبَهْجةِ والسُّرورِ لأَنّي شَعَرْتُ بِأَنَّ مُشْكِلَتي قَدْ حُلَّتْ، وَأَنَّ ظُهورَ هايد قَدْ أَصْبَحَ أَمْرًا مُسْتَحيلًا، فَقُمْتُ بِإِغْلاقِ البابِ الخَلْفيِّ الَّذي كانَ يَسْتَخْدِمُهُ هايد في دُخولِهِ وخُروجِهِ وَكَسَرْتُ مِفْتاحَ البابِ تَحْتَ قَدَمي.

اِنتَشَرَتِ الأَنْباءُ في اليَوْمِ التّالي أَنَّ هُناكَ مَنْ رَأى القاتِلَ وَعَرَفَ النّاسُ أَجْمَعُهُم ما اقترَفَتْ يدا هايد، وأَنَّ القَتيلَ كانَ شَخْصِيَّةً مَرْموقَةً يَتَمَتَّعُ بِتَقْديرِ الرَّأْيِ العامِّ. إِنَّها لَمْ تكُنْ جَريمةً فَحَسْبُ، لَقَدْ كانتْ مَهْزلةً أَيْضًا. وكانَ مِمّا بَعَثَ السُّرورَ في نَفْسي أَنَّ جيكِل قَدْ أَصْبَحَ الآنَ مَلْجأي وَمَلاذي؛ فَلَوْ أَنَّ هايد أَطَلَّ بِرَأْسِهِ من مَكْمَنِهِ، ولَوْ لِلحْظَةٍ واحِدَةٍ، لامتَدَّتْ أَيْدي النّاسِ جَميعًا لِتُمْسِكَ بِهِ وَتَقْتُلَهُ.

لِهَذا صَمَّمْتُ أَنْ يَكونَ تَصَرُّفي في المُسْتَقْبَلِ تَكْفيرًا عما مَضى، ويُمْكِنُني أَنْ أقولَ بِكُلِّ صِدْقٍ إِنَّ تَصْميمي هذا أَثْمَرَ بَعْضَ الخَيْرِ. فأَنْتَ تَعْرِفُ بِنَفْسِكَ كَيْفَ أَنّي كُنْتُ خِلالَ الأَشْهُرِ الأَخيرَةِ مِنَ السَّنةِ الماضية أَبْذُلُ قُصارى جَهْدي لأُخَفِّفَ آلامَ النّاسِ. وَأَنَّني قَدَّمْتُ فيها الكَثيرَ مِنَ الخِدْماتِ للمُحْتاجينَ، وَكانتِ الأَيّامُ تَمُرُّ بِهُدوءٍ مِمّا أَدْخَلَ السَّعادةَ في نَفْسي، ولا يُمْكِنُني أَنْ أقولَ إِنَّ هذِهِ الحَياةَ الخَيِّرةَ الفاضِلةَ قَدْ جَعَلْتني أَشْعُرُ بالمَللِ، فَقَدْ كانَ الأَمْرُ غَيْرَ ذَلِكَ، إِذْ إِنَّني كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِها كُلَّ يَوْمٍ، ولَكِنّي مَعَ ذَلِكَ كُنْتُ واقِعًا تَحْتَ لَعْنةِ نِصْفيَ الشِّرّيرِ. وَلِهَذا فَعِنْدَما خَفَّتْ آثارُ حُزْني بَدَأَ نِصْفي هَذا يَعودُ طالِبًا الحُرِّيَّةَ الَّتي كانَ قد اعتادَها في الآونَةِ الأَخيرةِ. وَلَمْ

يَكُنْ مَعْنى هَذا أنّي بَدَأْتُ أَحْلُمُ بإعادةِ هايد إلى الحَياةِ لأنَّ مُجَرَّدَ التَّفْكيرِ في هذا كانَ يُفْزِعُني كُلَّ الفَزَعِ. لا، لَمْ أَكُنْ أفكِّرُ في هذا أَبدًا. بَلْ بَدَأْتُ أَسْلُكُ سُلوكَ مَنْ يَقْتَرِفُ الذُّنوبَ في السِّرِّ. وَهَكَذا بَدَأْتُ أَذْعِنُ لِلإغْراءِ مِنْ جَديدٍ.

لا بُدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَصِلَ يَوْمًا إلى نِهايَتِهِ، وَمَهْما كانَ الإناءُ كَبيرًا فلا بُدَّ أَنْ يَمْتَلِئَ في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ. وَهَكَذا فإنَّ هَذا المَيْلَ القَليلَ نَحْوَ الشَّرِّ قَدْ أخَلَّ بما كانَ قائِمًا مِنْ توازُنٍ، وَلَكِنّي لَمْ أَنْزَعِجْ إذ إنّ السُّقوط لِلْهاوِيةِ كانَ يَبْدو أَمْرًا طَبيعيًّا. وَكَأَنَّما قَدْ رَجَعَتْ بيَ الأَيّامُ إلى ما مَضى، قَبْلَ أَنْ أصِلَ إلى اكْتِشافي ذاكَ.

ذاتَ يَوْمٍ صَحْوٍ جَميلٍ كُنْتُ أَجْلِسُ على أريكةٍ في حديقةٍ عامَّةٍ، وَكانَتْ زُهورُ الرَّبيعِ تُعَطِّرُ الجَوَّ مِنْ حَوْلي. وكانَتِ القُوى الحَيَوانيَّةُ المَوْجودةُ داخِلي تَلْعَقُ بَقايا ذِكْرَياتي، أمّا قُوى الخَيْرِ عِنْدي فكانَتْ في شَيْءٍ مِنَ السُّباتِ، وَكانَتْ تُمَنّي النَّفْسَ بِالتَّوْبةِ فيما بَعْدُ دونَ أَنْ تَبْدَأَ العَمَلَ مِنْ أَجْلِها. فَكُنْتُ أقولُ لِنَفْسي إنَّ شَأْني في ذلِكَ شأنُ جميعِ النّاسِ حَوْلي.

وَأَخَذْتُ أَبْتَسِمُ وأنا أقارنُ نَفْسي بالآخَرينَ، وأقارنُ نِيَّتي الطَّيِّبةَ النَّشيطة بِقَسْوَتِهِمْ واسْتِخِفافِهِمْ، وفي نَفْسِ اللَّحْظةِ الَّتي كانَتْ تُراوِدُني فيها تِلْكَ الأفكارُ المَليئةُ بالتَّباهي والتَّفاخُر، شَعَرْتُ بِغَثَيانٍ شَديدٍ وَرَعْشةٍ عَنيفةٍ ما لَبِثَتْ أَنْ ذَهَبَتْ وتَرَكَتْني واهِنًا ضَعيفًا يَكادُ يُغْشى عَلَيَّ. ثُمَّ ما لَبِثَ هَذا الوَهَنُ أَنْ زالَ كَذَلِكَ، وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بحُدوثِ تَغَيُّرٍ في طَبيعةِ أفْكاري، فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ جَسارةً (شَجاعَةً)، وأَكْثَرَ ازدِراءً (اسْتِخْفافًا) بِالمَخاطِرِ،

وَتَحَرُّرًا مِنْ قُيودِ الواجِبِ، ثُمَّ وَقَعَ نَظَري عَلى أطْرافي فَوَجَدْتُها قَدْ صَغُرَتْ، وَوَجَدْتُ مَلابِسي قَدْ أَصْبَحَتْ فَضْفاضَةً تَتَدَلَّى بِصُورةٍ غَيْرِ عادِيَّةٍ على هَذِهِ الأَطْرافِ الصَّغيرة. وكانَتِ اليَدُ الَّتي عَلى رُكْبَتَيّ ناتِئَةَ العِظامِ مُغَطّاةً بِالشَّعْرِ. لَقَدْ أَصْبَحْتُ إدْوارْد هايِد مَرَّةً أُخْرى. إنَّني مُنْذُ لَحْظَةٍ واحِدَةٍ كُنْتُ أَحْظَى بِاحتِرامِ النّاسِ جَميعًا وَبِحُبِّهِمْ، وَأَنْعَمُ بِالثَّرْوَةِ وَالجاهِ، وَكانَ خَدَمي قَدْ أَعَدُّوا لِيَ المائِدَةَ في غُرْفَةِ الطَّعامِ بِمَنْزِلي. أَمّا الآنَ فَإِنَّ البَشَرَ جَميعًا يُطارِدونَني لَقَدْ أَصْبَحْتُ شِرِّيرًا مُطارَدًا، يَعْرِفُ الجَميعُ أَنَّني قاتِلٌ، وَأَنَّ مَصيري هُوَ حَبْلُ المِشْنَقَةِ.

لَقَدِ اهتَزَّ فِكْري لِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخُنّي. وَكُنْتُ قَدْ لاحَظْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ تَفْكيري - وَأَنا في صُورةِ هايِد - أَكْثَرُ حِدَّةً، وأَنَّ عَزيمَتي أَكْثَرُ مَضاءً (قُوَّةً). إنَّ مِثْلَ هَذا المَوْقِفِ كانَ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَدْفَعَ بِاليَأْسِ إلى قَلْبِ جيكِل، أَمّا هايِد فَقَدْ هَبَّ لِمُواجَهَتِهِ. وكانَتْ عَقاقيري في أَحَدِ أَدْراجِ الدُّولابِ بِغُرْفَتي - وَكانَتْ مُشْكِلَتي هِيَ كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَصِلَ إِلَيْها، فَأَخَذْتُ أُفَكِّرُ مَلِيًّا لِكَيْ أَجِدَ حَلًّا لِتِلْكَ المُشْكِلَةِ. لَقَدْ أَغْلَقْتُ بابَ المَعْمَلِ، وَإِذا حاوَلْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ مِنَ البَيْتِ فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ خَدَمي سَوْفَ يُلْقونَ القَبْضَ عَلَيَّ، وَيَقومونَ بِتَسْليمي لِمَصيرِيَ المَحْتومِ لِهَذا رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْدِمَ شَخْصًا آخَرَ، وَفَكَّرْتُ في لانْيُون. وَلَكِنْ كَيْفَ أَصِلُ إِلَيْهِ وَكَيْفَ أُقْنِعُهُ؟ لِنَفْرِضْ أَنَّني تَمَكَّنْتُ مِن تَفادي إلْقاءِ القَبْضِ عَلَيَّ في الشَّوارِعِ فَكَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أُقابِلَهُ وَكَيْفَ يُمْكِنُني وأنا الزّائِرُ المُزْعِجُ المَجْهولُ أَنْ أُقْنِعَ هَذا الطَّبيبَ المَشْهورَ أَنْ يَقْتَحِمَ مَكْتَبَ طَبيبٍ آخَرَ؟

عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرْتُ أَنّي ما زِلْتُ أَحْتَفِظُ بِإِحْدى قُدْراتي الأَصْلِيَّةِ – إِنَّ في وُسْعي أَنْ أَكْتُبَ الخَطَّ نَفْسَهُ الَّذي كُنْتُ أَكْتُبُ بِهِ مِنْ قَبْلُ. وَهَكَذا اتَّضَحَ لِيَ الطَّريقُ الَّذي يَجِبُ أَنْ أَسْلُكَهُ.

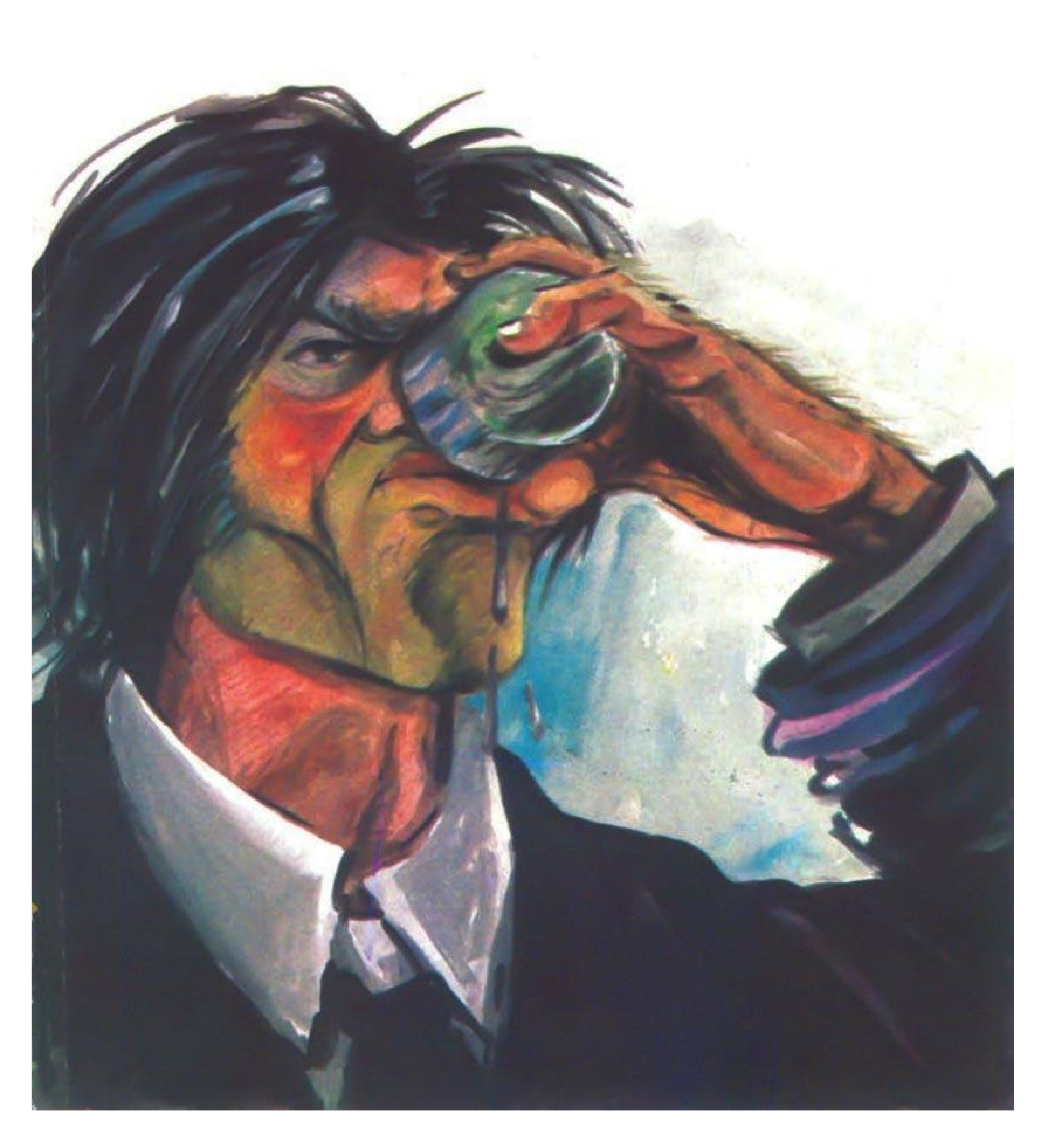
لِهَذا قُمْتُ بِتَنْسيقِ مَلابِسي قَدْرَ إِمْكاني، وَأَخَذْتُ عَرَبَةً إِلى أَحَدِ الفَنادِقِ كُنْتُ أَذْكُرُ اسمَهُ. وَعِنْدَما رَآني سائِقُ العَرَبةِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْفِيَ ابتِسامَتَهُ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الابتِسامةَ ما لَبِثَتْ أَنْ تَلاشَتْ مِنْ فَوْقِ شَفَتَيْهِ بَعْدَ أَنْ رَمَقْتُهُ بِنَظْرةٍ غاضِبةٍ وَالشَّرَرُ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيَّ. وَكانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ ابتِسامَتَهُ تِلْكَ قَدْ تَلاشَتْ، بَلْ مِنْ حُسْنِ حَظّي أَيْضًا، فَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَجْذِبَهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وأُلْقِيَ بِهِ أَرْضًا.

عِنْدَما دَخَلْتُ الفُنْدُقَ نَظَرْتُ حَوْلي في غَضَبٍ مِمّا جَعَلَ الخَدَمَ يَرْتَعِدونَ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَيُّ واحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَبادَلَ نَظْرةً واحِدةً مَعَ زَميلِهِ، بَلْ تَقَبَّلوا أَوامِري بِأَدبٍ بالِغٍ، وأَخَذوني إِلى غُرْفةٍ خاصَّةٍ، وَأَحْضَروا وَرَقًا وقلَمًا. إِنَّ هايد يُصْبِحُ مَخْلوقًا آخَرَ غَريبًا عَلَيَّ عِنْدَما يُواجِهُ ما يُهَدِّدُ حَياتَهُ. إِنَّهُ يُصْبِحُ مَخْلوقًا يَمْلَأُ الغَضَبُ جَوانِحَهُ، مُتَوَتِّرًا إِلى دَرَجةٍ تَجْعَلُهُ يَرْتَكِبُ جَريمةَ القَتْلِ دُونَ تَرَدُّدٍ، لَهُ رَغْبةٌ عارِمةٌ في إِيلامِ الآخَرينَ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كانَ هايِد في ذَلِكَ المَوْقِفِ مُتَّسِمًا بالدَّهاءِ، فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلى سَوْرةِ غَضَبِهِ باذِلًا جَهْدًا كَبيرًا في سَبيلِ ذَلِكَ. ثُمَّ قامَ بِكِتابةِ خِطابَيْهِ المُهِمَّيْنِ؛ أَحَدُهُما للانْيُون وَالآخَرُ لبُوول. وَلِكَيْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ تَمَّ إِرسالُهُما بالبَريدِ فِعْلًا، طَلَبَ مِنَ الخادِمِ أَنْ يُرْسِلَهُما مُسَجَّلَيْنِ.

بَعْدَ أَنْ تَمَّ إنجازُ ذَلِكَ قَبَعَ في غُرْفَتِهِ بِجِوارِ المِدْفأَةِ طَوالَ اليَوْمِ يَقْضِمُ أظافِرَهُ في تَرَقُّبٍ وَتَوَتُّرٍ. وَفي غُرْفَتِهِ تَناوَلَ عَشاءَهُ وَحيدًا مَعَ مَخاوِفِهِ، وَكانَ الخادِمُ يَرْتَعِدُ أَمامَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُقَدِّمُ لَهُ الطَّعامَ. وَعِنْدَما أَرْخى اللَّيْلُ سُدُولَهُ رَكِبَ عَرَبةً مُقْفَلَةً وَانزَوى في رُكْنِها، وَطَلَبَ مِنَ السّائِقِ أَنْ يَمْضيَ بِهِ جَيْئةً وذهابًا في شَوارِعِ المَدينةِ. إنّي أشيرُ إلَيْهِ بِضَميرِ الغائِبِ، وَلا أقولُ أنا، إذْ إنَّ ذَلِكَ المَخْلوقَ الشَّيْطانيَّ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الصِّفاتِ الإنْسانيَّةِ – لَمْ يَكُنْ إلّا مَزيجًا مِنَ الخَوْفِ والكَراهيةِ. وَعِنْدَما أَحَسَّ في النِّهايةِ بِأَنَّ سائِقَ العَرَبةِ قَدْ بَدَأَ يَشُكُّ فيهِ أَوْقَفَهُ وَصَرَفَهُ، وَسارَ عَلى قَدَمَيْهِ في مَلابِسِهِ الفَضْفاضَةِ الَّتي جَذَبَتِ انتِباهَ الآخَرينَ، وَكانَ الخَوْفُ وَالكَراهيةُ يَمْلآنِهِ وَيَثورانِ في داخِلِهِ ثَوْرةً عاصِفةً. وسارَ مُسْرِعًا وَكَأَنَّما يَهْرُبُ مِنْ مَخاوِفِهِ، وَكانَ يَتَحَدَّثُ إلى نَفْسِهِ في ثَوْرةٍ، ويَخْتَبِئُ في الشَّوارِعِ غَيْرِ المَطْروقةِ، وَيَحْسِبُ الدَّقائِقَ الَّتي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. وَحَدَثَ أَنْ كَلَّمَتْهُ امرأَةٌ عارِضةً عَلَيْهِ عُلْبةَ ثِقابٍ. لَكِنَّهُ لَطَمَها عَلى وَجْهِها فَأَسْرَعَتِ المَرْأَةُ بِالفِرارِ.

عِنْدَما عادَتْ إليَّ شَخْصِيَّتي الأُولى في بَيْتِ لانْيُون تَأَثَّرْتُ بَعْضَ التَّأَثُّرِ لِما عاناهُ صَديقي القَديمُ مِنْ فَزَعٍ. وَلَكِنَّ مُعاناتَهُ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ إلّا مُجَرَّدَ قَطْرةٍ في بَحْرِ الكَراهيةِ والمُعاناةِ الَّتي كُنْتُ أحِسُّ بِهِما في تِلْكَ السّاعاتِ العَصيبةِ. وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بأَنَّ تَغَيُّرًا قَدْ حَدَثَ. إنَّني لَمْ أَكُنْ أَتَعَذَّبُ خَوْفًا مِنْ يَدِ الجَلّادِ، وَلَكِنْ خَوْفًا مِنْ أَنْ أُصْبِحَ هايد. وَقَدِ استَقْبَلْتُ استِنْكارَ لانْيُون وَكَأَنَّني في حُلْمٍ وَرَجَعْتُ إلى بَيْتي وإلى فِراشي وَكَأَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ مُجَرَّدُ حُلْمٍ. اِسْتَغْرَقْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ للغايةِ، حَتّى إنَّ الأَحْلامَ المُزْعِجةَ الَّتي راوَدَتْني



في تِلْكَ اللَّيْلةِ لَمْ تَقُضَّ مَضْجَعي (تُزْعِجْ مَنامي). وَعِنْدَما استَيْقَظْتُ في الصَّباحِ كُنْتُ مَنْهُوكًا وَلَكِنْ مُطْمَئِنًّا. كُنْتُ ما أَزالُ أَكْرَهُ وَأخافُ ذَلِكَ الوَحْشَ الكامِنَ فيَّ، وَلَمْ أَنْسَ بِطَبيعةِ الحالِ تِلْكَ الأَخْطارَ المُرْعِبةَ الَّتي مَرَّتْ بي اللَّيْلةَ الماضيةَ، وَلَكِنِّي الآنَ في بَيْتي مَرَّةً أُخْرى وعلى مَقْرَبةٍ مِنْ عَقاقيري، وَشَكَرْتُ اللهَ عَلى نَجاتي، وَعادَ إليَّ وَميضُ الأَمَلِ.

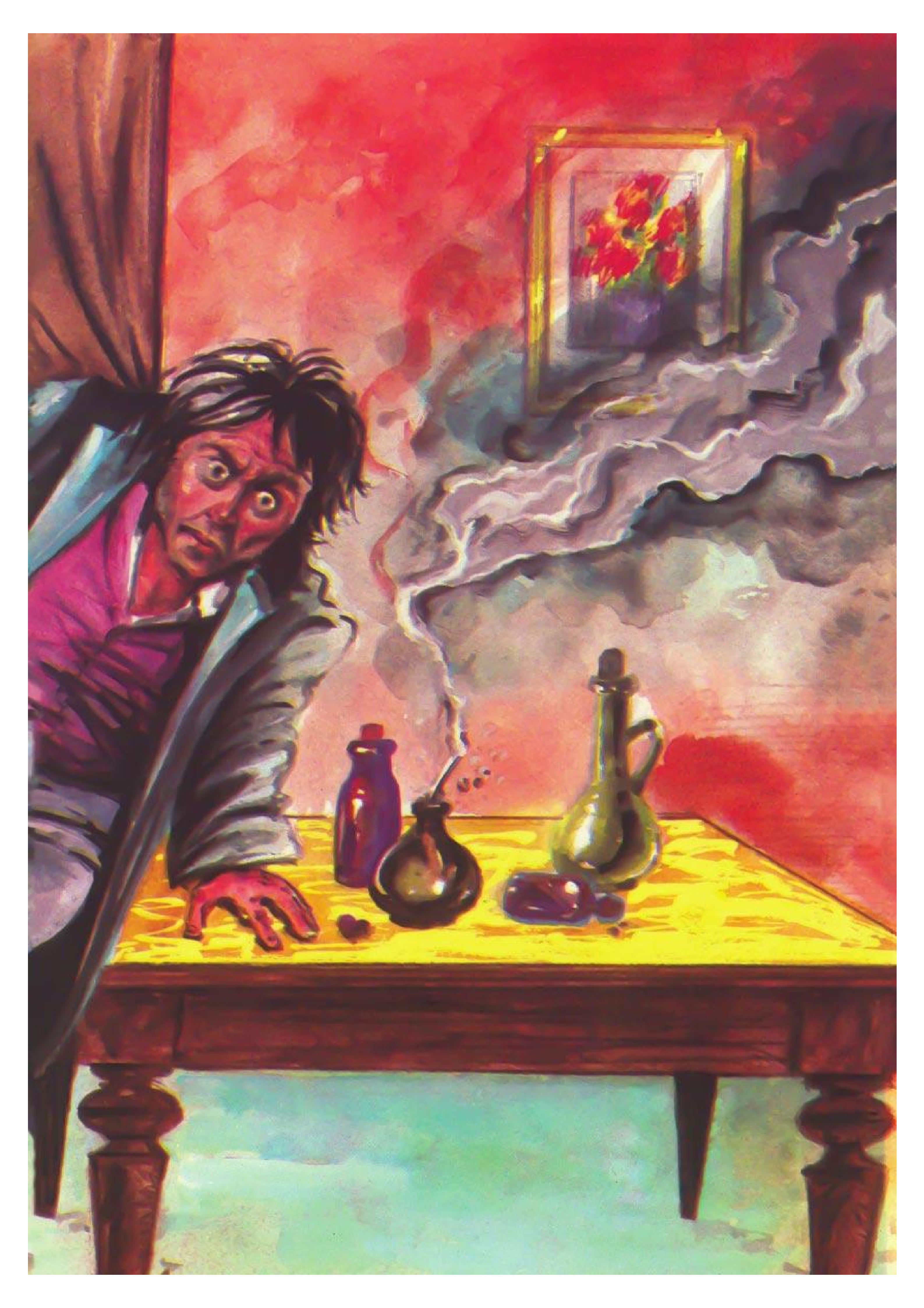
ذاتَ مَرَّةٍ كُنْتُ أسيرُ في الفِناءِ. بَعْدَ الإفْطارِ، أَسْتَمْتِعُ بِهَواءِ الصَّباحِ البارِدِ، عِنْدَما انتابَتْني مَرَّةً أُخرى تِلْكَ المَشاعِرُ الغامِضةُ الَّتي كانَتْ تَسْبِقُ تَحَوُّلي إلى هايِد. وَما إنْ أَسْرَعْتُ بِاللُّجُوءِ إلى غُرْفَتي حَتَّى كانَ التَّحَوُّلُ قَدْ تَمَّ، وَبَدَأْتُ أَصْخَبُ وَأَثُورُ وَأنا في صُورَةِ هايِد. وَفي تِلْكَ المَرَّةِ كانَ عَلَيَّ أَنْ أُضاعِفَ كَمِّيَّةَ العَقّارِ لأَتَمَكَّنَ مِنَ الرُّجوعِ إلى حَقيقَتي الأَصْلِيَّة. وَلَكِنْ لِسُوءِ الحَظِّ عادَتِ الآلامُ مَرَّةً أُخْرى بَعْدَ سِتِّ ساعاتٍ فَقَطْ، وَكُنْتُ آنَذاكَ جالِسًا بِجِوارِ المِدْفأَةِ أَنْظُرُ إلى النّارِ في حُزْنٍ وتَعاسةٍ. وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الرُّجوعِ إلى جيكِل إلّا نَتيجةَ تَأثيرِ العَقّارِ الَّذي تَناوَلْتُهُ عَلى الفَوْرِ. لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ الرَّجَفاتُ المُفاجِئةُ تَنْتابُني في كُلِّ ساعاتِ النَّهارِ واللَّيْلِ. وأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّني كُنْتُ إذا نِمْتُ لِلَحْظةٍ واحِدةٍ عَلى مَقْعَدي نَوْمًا خفيفًا فَإنَّني كُنْتُ أَسْتَيْقِظُ دائِمًا في صُورةِ هايِد. وَهَكَذا كُنْتُ تَحْتَ سَيْفِ هَذا القَدَرِ، وَحَكَمْتُ عَلى نَفْسي بِأَنْ أَظَلَّ يَقِظًا دائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ مَخْلوقًا تَنْهَشُهُ المَخاوفُ وَتَهُدُّهُ الحُمَّى؛ مَخْلوقًا واهِنَ الجِسْمِ والعَقْلِ لا تَشْغَلُهُ إلّا فِكْرةٌ واحِدةٌ هِيَ خَوْفُهُ مِنْ نِصْفِهِ الآخَرِ. وكُنْتُ إذا غَلَبَني النَّوْمُ أَوْ خَفَّ أَثَرُ العَقّارِ أَنْتَقِلُ في قَفْزةٍ واحِدةٍ سَريعةٍ، إذْ إنَّ آلامَ التَّحَوُّلِ قَدْ قَلَّتْ بِمُرورِ

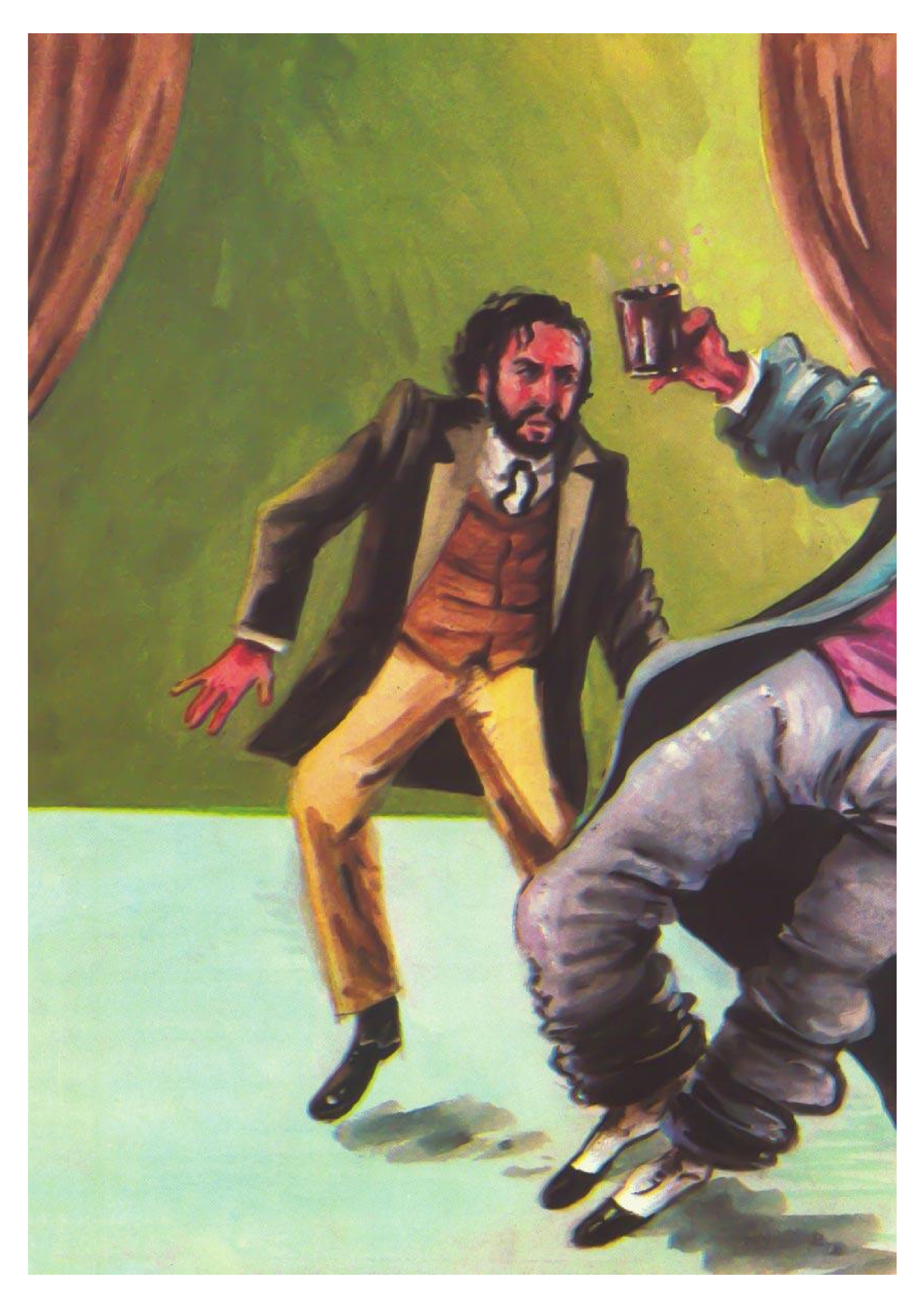
الوَقْتِ لأعودَ تَحْتَ سَيْطَرةِ خَيالٍ زاخِرٍ بالصُّوَرِ المُفْزِعةِ، وَنَفْسٍ تَغْلي حِقْدًا وَغَضَبًا، وَجِسْمٍ يَبْدو وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ القُوَّةِ بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْتَوِيَ كُلَّ ذَلِكَ العُنْفِ الصّاخِبِ.

لَيْسَ مِنَ المُجْدي أَنْ أَقولَ أَكْثَرَ مِنْ هَذا فالوَقْتُ يَمْضي سَريعًا وهُوَ لَيْسَ في مَصْلَحَتي. وَيَكْفيني أَنْ أَقولَ إنَّ أَحَدًا مِنَ البَشَرِ لَمْ يُقاسِ مِثْلَ هَذا العَذابِ. وَكانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَسْتَمِرَّ عِقابي هَذا لِسنينَ عَديدةٍ لَوْ لَمْ تَحْدُثْ تِلْكَ الكارِثَةُ الَّتي حَلَّتْ أَخيرًا، والَّتي حالَتْ بَيْني وَبَيْنَ وَجْهي الحَقيقيِّ وَطبيعَتي الأَصْلِيَّة. لَقَدْ بَدَأَ رَصيدي مِنَ المِلْحِ الَّذي يَعْمَل فيهِ العَقّارُ يَنْضُبُ، وَكُنْتُ لَمْ أُجَدِّدْهُ مُنْذُ أَنْ بَدَأْتُ أَسْتَخْدِمُهُ. وَلِهَذا أَرْسَلْتُ في طَلَبِ كَمِّيَّةٍ جَديدةٍ، ثُمَّ قُمْتُ بِمَزْجِ المِلْحِ الَّذي حَصَلْتُ عَلَيْهِ فَأَحْدَثَ فَقاقيعَ كَسابِقِهِ، وَتَغَيَّرَ اللَّوْنُ مَرَّةً واحِدةً لا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ شَرِبْتُهُ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يُحْدِثَ أَيَّ أَثَرٍ. وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ مِنْ بُول كَيْفَ أَنّي طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ المِلْحِ في كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ لَنْدَن، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوى. وَأَنا مُقْتَنِعٌ الآنَ أَنَّ الكَمِّيَّةَ الأُولى الَّتي حَصَلْتُ عَلَيْها لَمْ تَكُنْ نَقِيَّةً، وَأَنَّ تِلْكَ الشَّوائِبَ المجهولةَ هِيَ الَّتي كانَتْ تُعْطي المِلْحَ فاعِلِيَّتَهُ.

لَقَدْ مَضى حَوالَي أَسْبوعٍ وَإِنّي أَخْتِمُ الآنَ هَذا البَيانَ تَحْتَ تَأْثيرِ الكَمِّيَّةِ الأَخيرةِ مِنَ المَسْحوقِ القَديم. وَلِهَذا فَإِذا لَمْ تَحْدُثْ مُعْجِزةٌ فَسَتكونُ هَذِهِ آخِرَ مَرَّةٍ يَتَمَكَّنُ فيها هِنْري جيكِل مِنَ التَّفْكيرِ بِعَقْلِهِ هُوَ، وَمِنْ أَنْ يَرى وَجْهَهُ في المِرآةِ (وَقَدْ تَغَيَّرَ الآنَ بِصُورةٍ مُحْزِنةٍ). وَمِنَ الضَّروريِّ أَلّا أَتَأَخَّرَ

أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ في إنْهاءِ كَلِمَتي هَذِهِ، لأَنَّهُ إذا كانَتْ هَذِهِ القِصَّةُ قَدْ نَجَتْ مِنَ التَّمْزيقِ فَإنَّما يَرْجِعُ ذَلِكَ إلى مَزيجٍ مِنَ الحِرْصِ وَحُسْنِ الحَظِّ. فَلَوْ حَدَثَ وانتابَتْني آلامُ التَّحَوُّلِ وَأَنا أَقومُ بِكِتابَتِها فَسَوفَ يَقومُ هايد بِتَمْزيقِها إرْبًا إرْبًا. وَلَكِنْ لَوْ مَرَّ بَعْضُ الوَقْتِ عَلى انتِهائي مِنْ كِتابَتِها فَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تَنْجُوَ مِنْ حِقْدِهِ وَضَغينَتِهِ. والحَقيقةُ أَنَّ المَصيرَ المَحْتومَ الَّذي يَنْتَظِرُنا نَحْنُ الاثْنَيْنِ قَدْ غَيَّرَهُ وَسَحَقَهُ سَحْقًا. فَأَنا أَعْرِفُ كَيْفَ أَنَّ هايد سَوْفَ يَجْلِسُ في مَقْعَدي هَذا بَعْدَ نِصْفِ ساعةٍ مِنَ الآنَ مُرْتَعِدًا يَبْكي وَيَنْتَحِبُ، أَوْ يَمْشي جَيْئةً وَذَهابًا في هَذِهِ الغُرْفةِ (الَّتي تُعْتَبَرُ مَلْجَأَهُ الأَخيرَ على ظَهْرِ الأَرْضِ) وَيَسْتَمِعُ وَالخَوْفُ يَمْلأُ جَوانِحَهُ إلى أيِّ صَوْتٍ قَدْ يُنْذِرُ بالخَطَرِ. هَلْ سَيَفقِدُ هايد حَياتَهُ عَلى حَبْلِ المِشْنَقةِ؟ أَمْ سَيَجِدُ الشَّجاعةَ الَّتي تُمَكِّنُهُ مِنْ أنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ في آخِرِ لَحظةٍ؟ اللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ الجَوابَ. لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِشَيْءٍ، فَهَذِهِ لَحْظةُ وَفاتي الحَقيقيَّةُ. أمّا ما سَيُعْقِبُ ذَلِكَ فَهُوَ خاصٌّ بِشَخْصٍ آخَرَ غَيْري. وَالآنَ وَأَنا أَضَعُ قَلَمي وأَهِمُّ بِإغْلاقِ الظَّرفِ الَّذي يَحْتَوي عَلى اعتِرافاتي فإنَّما أُنْهي بِذَلِكَ حَياةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ البائِسِ هِنْري جيكِل.





الروايات المشهورة

١ ــ جين إير
٢ ــ فرانكنشتاين
٣ ــ مونفليت
٤ ــ دراكولا
٥ ــ لورنا دون
٦ ــ دكتور جيكل ومستر هايد



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 101